عيوب النظم عند البلاغيين والنقاد

الدكتور عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر
الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد

مقـــدمة

ان من أهداف دراســة البلاغة : تمييز أصــناف الكلام ، ومعرفة جيده من رديئه ، لأن البلاغة تمدنا بالأصول والمقاييس ، التى نقدر بها أقدار الكلام ، ونميز بين طبقاته .

وقد كنت نظــرت فى كلام (البلاغيين والنقــاد) ، فوجــدتهم يكثرون من التنبيــه على مواطن الحســن والقبح ، فى كلام العرب ، شــعره ، ونثره .

ومن قبلهم كان (الرواة والنحاة) يسجلون على (الشــعراء) أخطــاءهم النحوية ، والصرفية ، والعروضــية ، وغير ذلك مما كانوا يسمونه (لحنا) ، او (خطأ) ، أو (عيبا) ، وسماها (المرزبانى) : (مآخذ العلماء على الشعراء) .

وقد أغرانى هذا بدراسة العيوب أو المــآخذ المتعلقة بالتراكيب، من وجهة نظر (البلاغيين والنقــاد) ، بخاصــة ، فكان هــذا البحث المتواضع ، الذى أحسبه محاولة للمضى فى هذا الطريق الطويل ، وقد سميته : (عيوب النظم عند البلاغيين والنقاد) .

وقد تناولت فيه أربعة من عيوب النظم :

الأول : الحذف المعيب ، وقد تحدثت فيه عن :

حذف الحرف ، وحذف جزء الكلمة ، وحذف كلمة فأكثر •

الثانى : التكرار المعيب ، وقد تحدثت فيه عن :

تكرار الحروف ، وتكرار الصيغة الفعلية ، وتكرار الصفات ، والتكرار بالترادف •

الثالث : (فاسد التقديم والتأخير) ، وقد عرضت فيه •

(أمثلة للمعيب من التقديم والتأخير) ، وخلتها ، وبينت الخطأ فيها ، ثم تحدثت عن الخطأ فى (التقديم والتأخير فى الاستفهام) ، والخطأ فى (التقديم والتأخير فى الخبر) •

الرابع : (من عيوب استعمال الأدوات) ، وقد تناولت فيه :

ثقل توالى حروف الجر ، والخطأ فى استعمال (ان واذا) ، والخطأ فى استعمال (هل) والله أسأل أن ينفع بهذا البحث ، وأن يجعله موضع تقدير القارىء الكريم ، وحسن ظنه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟

الحذف المعيب

تناول البلاغيون (الحذف) ، باعتباره وجها من وجوه النظم ، فى الكلام العربى الفصيح ، فى حذف المسند اليه ، وحذف المسند ، وحذف المفعول وغيره من متعلقات الفعل •

ولست أريد دراسة هذا (الحذف المستحسن) ، بصوره المذكورة ، انما أريد دراسة (حذف القبيح) ، أو (المعيب) ، أو (الشاذ) ، أو (الضرورة) ، الى آخر الأوصاف التى وصف بها النحاة والبلاغيون هذا النوع من الحذف •

ويأتى هذا النوع على صور مختلفة ، فمنه ما يكون حذف حرف من الكلمة ، ومنه ما يكون حذف جزء منها ، ومنه ما يكون حذف كلمة أو أكثر .

١ ــ حذف الحرف :

مما لا شك فيه أن (حذف حرف من الكلمة) يعد نهجا خارجا عن الفصاحة والبيان ، دع ما كثر فى الكلام الفصيح ، من مثل حذف آخر الكلمة ترخيما ، كما فى قراءة (على بن أبى طالب ، وابن مسعود (رضى الله عنهما) ، ويحيى والأعمش : (ونادوا يا مال ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون)(١) ، وكما فى قول الحارث الجرمى ، يخاطب زوجته ــ وقد كانت تحثه على أخذ ثأر أخيه من قومه :

قومى هم قتلوا أميم أخى فاذا رميت يصيبنى سهمى

قوله (أميم) أصله : يا أميمة (زوجته) ، فحذف حرف النداء كما حذف آخر الكلمة للترخيم ، فى الآية والبيت جميعا .

ومثله حذف حرف النداء فى قوله تعالى : « يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين »(٢) ، وحذف (لا) من قوله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين »(٣) ، والأصل الا تفتأ،فكل هذه الأساليب من الحذف الحسن الذى لا تخفى بلاغته ، وقد أفاض البلاغيون فى بيانها(٤) .

---

(١) الزخرف : ٧٧ .

(٢) يوسف : ٢٩ .

(٣) يوسف : ٨٥ .

(٤) انظر : المحتسب ٢ : ٢٥٧ ، وتحرير التحبير ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

لكن الذى يعنينا هنا ما هو من قبيل حذف الياء من (الأيدى) ، والاجتزاء عنها بالكسرة فى قول الشاعر :

وطرت بمنصلى فى يعملات دوامى الأيد يخبطن السريحا

وحذف اليـاء من (نواحى) ، والاجتزاء عنهـا بالكسرة ، فى قول الشـاعر :

كنواح ريش حمامة نجدية ومسحت باللثتين عصف الأثمد

وحـذف (النون) من (لكن) ، فى قول (النجـاشى) على لسـان الذئب :

فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل(٥)

وحذف (الياء) من (هى) فى قول الآخر :

دار لسعدى اذه من هواكا

والأصـل : اذ هى .

وحذف (الواو) والاجتزاء عنها بالضمة فى قول الشاعر :

فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن جمل رخو الملاط نجيب

الأصل : فبينا هو يشرى ...(٦) .

فهذا ونحوه معيب ، يذكره العلماء فى سـياق مآخذ العلماء على الشعراء ، شأنه شأن التشبيهات القبيحة ، والاسـتعارات المذمومة ،

---

(٥) الأصل : ولكن اسقنى .

(٦) الموشح ص ٨٥ .

والاعتراضات المفسدة للمعنى ، وغير ذلك من الفساد فى أنواع البلاغة المختلفة • وفيه من الاجحاف بالكلمة ما لا يخفى عليك •

وقد ذكروا أن حذف النون من (لكن) فى بيت (النجاشى) أدخل فى العيب والذم وأثبت من سائر ما ذكر ، هكذا قرر (المرزبانى)(٧) ونظر بعض الباحثين الى قصة البيت ، فقد زعم النجاشى أنه أراد أن يصطحب الذئب فى فلاة ، وأن الذئب رفض هذه الصحبة ، وقال . (لست بآتيه ولا أستطيعه) ، ثم طلب منه ماء ان كان عنده فضل منه فقال : (ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل) ، وكأنما أراد الشاعر بهذا أن يؤكد أنه يجوب فلاة مهلكة ضالة،فالذئب ، وهو ابن الصحراء، والخبير بطرقها يجهل فيها موضع الماء ، فقد جاء قوله (ولاك اسقنى) على الحذف ، لأنه أراد (ولكن اسقنى) ، فحذف آخر الكلمة ، طلبا للخفة ، لمناسبة حال الذئب الظامىء المتهالك فى هذه الصحراء الموحشة كأن الذئب فيها قد تعثر لسانه ، وبيس ، فخطف الكلمة ، فأسقط منها ما أسقط)(٨) •

وهى وجهة نظر وجيهة ، توجه الناظر فى الشعر العربى الى البحث عن مقامه الذى قيل فيه ، وحال الشاعر النفسية ، ومدى ذلك فى شعره

واذا سلمنا بصحة هذا الكلام ، فلن نستطيع تعميمه فى غير قول النجاشى ، فلابد من التسليم بأن هذا الحذف وأمثاله معيب ، لما يترتب عليه من الاجحاف بالكلمة التى سقط منها حرف ، فأبهم معناها •

وفرق بين هذا النوع من حذف الحرف ، الذى مضى بعض أمثلته ، وبين (الحذف) الذى سلك مسالكه بعض أدباء الصنعة •

---

(٧) المرجع نفسه ص ٨٥ •

(٨) خصائص التراكيب ص ١١٣ •

وهو الذى عرفه (الوطواط) بقوله : (وتكون هذه الصنعة بأن يطرح الشاعر أو الكاتب حرفا أو أكثر ، من حروف المعجم ، من نثره أو نظمه ، ومثاله من النثر العربى ما يروونه من أن (واصل بن عطاء) كان يمتاز بفصاحة عظيمة ، تشوبها لثغة فى نطق الراء ، فاجتهد ألا ينطق بهذا الحرف ، فسألوه يوما : كيف يمكنه أن يقول : (اطرح رمحك واركب فرسك) ؟ وكان غرضهم من ذلك أن يضطروه الى نطق الراء ، التى تكثر فى هذه العبارة ، ولكن (واصلا) أجابهم بقوله : (ألق قناتك واعل جوادك) ، فتعجب الجميع من اجابته ، ومن قدرته على حذف (الراء)(٩) .

ونعود فنقول : ان (حذف الحرف) المعيب غير هذا الحذف الذى تراه فى براعة (واصل بن عطاء) ، وقدرته الفائقة على التعبير ، مع تحاشى الألفاظ التى فيها (الراء) .

ولهذا الحذف المستبدع أمثلة كثيرة ، مثل حذف سيدنا على (كرم الله وجهه) الألف ، من خطبته التى سماها (المونقة)(١٠) .

وكحذف (الحريرى) الحروف المنقوطة من خطبته ، التى أولها : (الحمد لله الممدوح الأسماء ، المحمود الآلاء ، والواسع العطاء ، المدعو لحسم الأدواء ...)(١١) ، من الأخرى التى أولها : (الحمد لله الملك المحمود المالك الودود ...)(١٢) .

وله أمثلة من النظم أيضا ، منها قول (أبى العلاء محمد بن غانم) :

---

(٩) حدائق السحر فى دقائق الشعر ص ١٦٦ .
(١٠) انظر الخطبة بكاملها فى (أنوار الربيع) ٦ : ١٧٦ .
(١١) شرح مقامات الحريرى ٣ : ٣٣٧ ـ ٣٥٢ المقامة : السمرقندية
(١٢) شرح مقامات الحريرى ٣ : ٣٩٢ ـ ٣٩٦ المقامة : ١٩ الواسطية

دار لهـدد دارس أعلامها طمس المعالم مورها ورهامهـا

وقول (الحريرى) :

أعدد لحسادك حد السلاح وأورد الآمل ورد السـماح(١٣)

ففى هذه الأمثلة حذف (جنس الحرف المنقوط) ، وهى مما نحن فيه ، بحكم ما فيها من حذف حرف معين على الجملة ، وان كان ما نحن فيه حذف حرف بذاته ، وهذه الأمثلة فيها حذف حرف بنوعه أو جنسه.

وقد يحرص الناثر أو الشاعر على أن تكون حروف احدى كلمات رسالته أو قصـيدته منقوطة بأجمعها ، والأخرى غير منقوطة بأسرها ، كمـا فى قول (الحريرى) : (الكرم ثبت الله جيش سـعودك يزين ، واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين ...)(١٤) .

وهكذا تجد رسالته هذه مبنية على كلمة مهملة الحروف ، تعقبهـا أخرى معجمة الحروف ، واتبع (الحريرى) ذلك فى النظم أيضا ، فقـال :

اسـمح ثبت السـماح زين
ولا تخب آمـلا تضـيف
ولا تجـز رد ذى سـؤال
فنن أم فى السؤال خفف(١٥)
الى آخر الأبيات(١٦) .

---

(١٣) شرح مقامات الحريرى ٥ : ٢١٨ المقامة : ٤٦ الحلبية .
(١٤) شرح مقامات الحريرى ١ : ٢٥١ المقامة : ٦ المراغية .
(١٥) تضيف : طلب منك أن تضيفه .
(١٦) شرح مقامات الحريرى المقامة : ٤٦ ـ الحلبية ـ

وهذا النوع من الصنعة ، يسمى (الخيفـــاء) ، وهى كما يذكر الوطواط : (الرسالة أو القصـــيدة التى تكون حروف احدى كلمتيهـــا منقوطة بأجمعها ، والأخرى غير منقوطة بأسرها) من الفرس الخيفاء، وهى التى بها خيف (وهو أن تكون احدى عينيها ســـوداء ، والأخرى زرقاء)(١٧) بل هناك صنعة أخرى أعجب وأغرب ، وهى (أن يورد الكاتب فى نثره ، و الشاعر فى شعره كلمات يكون أحد حروفها منقوطا ، والآخر عاطلا ، غير منقوط) كقول (الحريرى) : (أخلاق سيدنا تحب وبعقـــوته يلب ، وقربه تحف وتأيه تلف ، وخلقـــه نسب ، وقطيعتـــه نصب ... الخ)(١٨) .

من النظم قول (الحريرى) أيضا :

ســـــيد قلب ســـــبوق مبر
قطن مغـــرب عزوف عيـــوف

مخـــلف متلف أغـــر فـــريد
نابه فاضـــل ذكى أنوف(١٩)

وتسمى الرسالة ، والقصيدة التى على هذا النحو بـــ (الرقطاء) وهى فى اللغة : ما كانت سوداء امترجت بها نقط بيضاء ، وبالعكس . واسقاط الحرف على نحو من الأنحـــاء التى ذكرنا ، وان كان لونا من

---

(١٧) حدائق السحر ص ١٦٨ ، ونهاية الايجاز ص ١١٦ .

(١٨) ألب بالمكان : أقام به ، وبعقوته بفنائه .

(١٩) قلب : درب بالأمور ، مغرب : يأتى بالغرائب ، عيوف : كاره للدنايا . متلف : يتلف ماله بالجود ، مخلف : يخلف ماله بالاغارة على الأعداء . المقامة الرقطاء : ٢٦ .

الصنعة عند أدباء الصنعة ، وأصحاب البديعيات ، الا أنه يتسم بالتكلف ويأتى معانيه غثة باردة ، وسبب ذلك أنها تستكره استكراها ، وتوضع فى غير مواضعها ، كذلك ألفاظه ، تجىء مكرهة أيضا ، غير ملائمة لأخواتها (٢٠) .

وجملة القول : أن (حذف الحرف) يأتى معيبا من جهة السماع والنقل عن القدماء ، وهو ما افتتحنا بأمثلته الكلام فى هذا الموضوع .

ويأتى معيبا من جهة ما يتصف به من تكلف الألفاظ ، واستكراه المعانى ، وهو هذا الذى كثرت ضروبه،وأمثلته،عند الحريرى وأضرابه .

٢ ــ حذف جزء الكلمة :

ومن هذا النوع قول (أمية بن أبى الصلت):

لا أرى من يعيننى فى حياتى غير نفسى الا بنى اسرال

أراد : بنى اسرائيل ، وكقول (علقمة بن عبدة) :

كأن ابريقهم ظبى على شرف مقدم بسبا الكتان ملثوم

أراد : بسبائب الكتان ، وكقول (لبيد) :

درس المنا بمتالع فأبان فتقادمت بالحبس والسوبان(٢١)

أراد : درس المنازل .

وهذا الحذف يعلله (قدامة بن جعفر) بضرورة الوزن الشعرى .

---

(٢٠) المثل السائر ٣ : ٢٤٩ ــ ٢٥٠ .

(٢١) متالع : اسم جبل لمنى ، و (الحبس) ، و (أبان) : جبلان بالبادية . والسوبان : واد لبنى تميم .

ولذلك تجده يذكر الامثلة المتقدمة ، تحت ما سماه (التضليم) ، الذى يعرفه بأنه (أن يأتى الشـــاعر بأشياء يقصر عنها العروض ، فيضطر الى ثلمها ، والنقص منها)(٢٢) .

ويقرب من هذا تحويل الاسم الى اسم آخر ، أقل منه حروفا ، لضرورة الوزن أيضا ، فسليمان تصير (سليم) كما فى قول (النابغة الذبيـــانى) :

وكل صـــموت نثلة تبعيـــة ونسج سليم كل قضاء ذائل(٢٣)

أراد : (سليمان) عليه السلام ، ومثله قول (الاسود بن يعفر):

ودعا بمحكمة أمين ســـكها من نسج داود أبى ســـلام

أراد : داود أبى سليمان ، وكقول (الحطيئة) :

فيه الرماح وفيه كل ســـابغة جدلاء محكمة من نسج سلام

أراد : من نسج سليمان (عليه السلام) ، وقد غلط فى المعنى ، اذ الدروع من عمل (داود) ، لا من عمل (سليمان) عليه الســـلام

وكقول (نهار بن توسعة) :

كانت خراسان أرضا اذ يزيد بها وكل باب من الخيرات مفتوح
فاســـتبدلت قتبا جعـــدا أناملـه كأنما وجهـــه بالخل منضوح

فقوله (قتبا) يريد به (قتيبه بن مسلم) .

---

(٢٢) نقد الشعر ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، والموشح ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢٣) صموت : درع ، ونثلة : سابغة ، وقضاء : درع محكمة صابغة ، وذائل : طويل الذيل .

قالوا : ان الشاعر هنا يتحسر على أيام ، شهدتها (خراسان) ، في أثناء حكم (يزيد) لها ، فقد كانت أبواب الخير في عهده مفتوحه ، فلما تولى (قتيبة بن مسلم) حكمها من بعـده ، تغير الحـال ، فهذه الامثلة فيهـا حذف ، وهو حذف لحرفين من الكلمة ، أو أكثر ، الا أن ذلك لمـا تم عن طريق تحويل الاسم الى اسم آخر ، أقل حروفا من الأول ، سماه (قدامة بن جعفر) : (التغيير) ، وعرفه بأنه أن يحيل الاسم من حاله وصـورته ، الى صـورة أخرى ، اذا اضطره الوزن الى ذلك)(٢٤) .

فضرورة الوزن الشعرى هى العلة وراء هذا الحذف ، أو هـذا (التغيير) : وهذه العلة لا تخرج الحذف هنا عن كونه معيبا ، شاذا ، لان براعة الشاعر تقاس بمدى قدرته على الوفاء بالمضمون الشعرى ، فى اطار قيود الوزن والقافية .

وهناك اتجاه لاخراج بيت (لبيد) ، وبيت (علقمة) من دائرة الذم ، فالحذف فى (المنا) مناسب ، لأن (المنازل) بقيت آثارها ، فهى بقايا منازل ، فيكفى فى التعبير عنها أن يقال (المنا) ، والحذف فى اللفظ وثيق الصلة بالمعنى .

والحذف فى (سبا) للعلم بأن المراد (سبائب) ، لان ذكـر سبائب الكتان كثير فى مثل هذا السياق فكأنما شبهوا الابريق بالظبى ، رأيتهم يذكرون سبائب الكتان ، فالحذف أكسب الكلمة خفة ، ولم يلبس معناها(٢٥) ومع الاقرار بريادة هذا الاتجاه ، وسمو أهدافه ، ونفاذ

---

(٢٤) نقد الشعر ص ٢٠٧ ، و الموشح ص ٢١٣ .
(٢٥) خصائص التراكيب ص ١١٣ ، ١١٤ بتصرف .

بصيرته فى مقررات هـذا الفن ، الا أننى أرى أن الحذف فى البيتين معيب ، شـاذ ، وضرورة ، كما قرر الرواة ، والنحـاة ، والنقـاد ، والبلاغيون . واذا سلمنا بقبول الحذف فى هذين البيتين ، فماذا نقول فى الشواهد الاخرى ، وهى كثيرة جدا ، ومتنوعة ؟

ان المقياس (الذى لا يختلف عليه اثنان) لجودة الحذف : أن لا يؤدى الى الباس ، أو غموض المعنى ، وفى البيتين غموض واضح ، يحتاج الى تساؤل عن المراد ، وهذا كاف فى كون الحذف فيهما معيبا .

قـال (ابن الاثير) : (واعلم أن العرب قد حذفت من آصـل الألفاظ شيئا ، لا يجوز القياس عليه) وذكر بيت (علقمة) السابق ، وكذلك قـول الآخـر :

يدرين جندل حـائر ، لجنوبها فكأنما تذكى سنابكها الحبا(٢٦)

ثم قال : (فهذا وأمثاله مما يقبح ولا يحسن ، وان كانت العرب قد استعملته فانه لا يجوز لنا أن نستعمله)(٢٧) .

لا شك فى قبح هذا الحذف ، وخفاء المراد من اللفظ ، بعد حذفه جزئه ، والا فمن أين لنا أن نفهم أن المـراد بـ (تا) هو (تأتى) مرة ، و (تمسح) أخرى ، فى قول الشاعر :

جاريةٌ قـد وعدتنى أن تا تدهن رأسى أو تفلى أو تا ؟ ؟

يريد : (أن تأتى وتدهن رأسه ، وتفلى ، أو تمسح) ، ومن أين لنا أن نفهم ن المراد بـ (قاف) هو (قف) فى قول الآخر :

---

(٢٦) الضمير فى يدرين للخيل ، والجندل : الصخر ، والحبا : أراد به الحباحب ، وهو : رجل من بنى محارب ، ضرب بناره المثل ، لانه كان لا يوقد الا نارا ضعيفة ، فحافة الضيفان ، فقالوا : نار الحباحب .

(٢٧) المثل السائر ٢ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

قلت لها : ألا قفى ، قالت : قاف لا تحسبن أنا نسينا الالحاق ؟ ؟

أى : قف أنت ..(٢٨)

٣ ــ حذف كلمة أو أكثر :

من حذف الكلمة ما ورد فى قول بعضهم :

لا يرمضون اذا حرت مشافرهم ولا ترى منهم فى الطعن ميالا
ويفشلون اذا نادى ربيئهم ألا اركبن فقد آنست أبطالا(٢٩)

قال (قدامة) : (أراد أن يقول : ولا يفشلون ، فحذف (لا) ، فعاد الى الضد)(٣٠) .

ومن ذلك ــ وهو من حذف أكثر من كلمة ــ قول (أبى تمام) :

يدى لمن شاء رهن لم يذق جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل

ومعنى (يدى لمن شاء رهن) : أى : أصافحه وأبايعه معاقدة أو مراهنة ، ففى البيت حذف (ان) الشرطية ، و (من) الموصولة ، و (كان) التى بينهما ، يريد أن يقول : (ان الصاب الحقيقى هو بطشك ، لا ما يسمى (صابا) ، فمرارته ليست بشىء اذا قيست بمرارة بطشك وسطوتك ، والعسل الحقيقى هو جودك ، لا ما يسمى (عسلا)، فلا يعرف طعم الصاب والعسل الا من ذاق مرارة سطوتك ،

---

(٢٨) الفوائد المشوق الى علوم القرآن ص ٨١ ، والوساطة ص ٤٥٠ ــ ٤٥٢ .

(٢٩) ربيئهم : طليعتهم ، وحارسهم ، القائم على حراستهم .

(٣٠) نقد الشعر ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، والموشح ص ٢١١ ، ٢١٢ ، والصناعتين : ٧ .

وحلاوة كرمك ، وأنا أصافح يد شخص لم يذق مرارة هـذا ، وحلاوة ذاك منك ، يستطيع أن يدرى ما الصاب الحقيقى ؟ وما العسل الحقيقى ؟

فـ (لفظ البيت مبنى على فساد ، لكثرة ما فيه من حذف مجحف ، وهو لا يجوز ، لأنه حذف (ان) التى تدخل على الشرط ، ولا يجوز حذفها ، لأنها اذا حذفت سـقط معنى الشرط ، وحذف (من) ، وهى الاسم الذى صـلته (لم يذق) ، وحذف (كان) وهو فعل الشرط ، والتقدير : (يدرى لمن شاء رهن (ان كان من) لم يذق جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل) ففى هذا الحذف ما فيه من افساد النظم ، وابهام المعنى ، والايقاع فى الحيرة والارتباك(٣١) .

ومنه ما كتبه بعض الكتاب (فان المعروف اذا زجا ، كان أفضل منه اذا توفر وأبطأ) ، يريـد : (اذا قل وزجا) ، فترك ما بـه يتم المعنى ، وهو ذكـر (قل)(٣٢) ، وهـذا المثـال الاخير أقل قبحا من سابقيه،وله نظائر من (الحذف الردىء) منها قول (الحارث بن حازة):

والعيش خـير فى ظـلا ل النوك(٣٣) ممن عاش كدا

أراد : (والعيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق ، فى ظلال العقل) ، وليس يدل لحن كلامه على هذا ، فهو من الحذف المقصر ، أو الحذف الردىء ، كما ذكر أبو هلال ، ومن (الاخلال) ، كما ذكر (قدامة ، والمرزبانى ، والخطيب القزوينى)(٣٤) .

---

(٣١) الموازنة ص ١٦٩ ، والوساطة ص ٧٩ ، ودراسـات تفصيلية شـاملة ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٣٢) الصناعتين ص ٢٠٧ .

(٣٣) النوك : الحمق والجهل .

(٣٤) الصناعتين ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ونقد الشعر ص ٢٠٤ ، والموشح ص ٢١١ ، ٢١٢ ، والايضاح ٣ : ١٧١ ، ١٧٢ .

ومثله قول (عروة بن الورد) :

عجبت لهم اذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

يعنى : (اذ يقتلون نفوسهم فى السلم) ، فحذف (فى السلم)

وكقول (عبيد الله بن عبد الله بن مسعود الهذلى) :

أعاذل عاجل ما أشتهى أحب من الأكثر الرائث

أراد : عاجل ما أشتهى مع القلة .

قلت : ان البلاغيين المتقدمين قد وصفوا الحذف فى أبيات (ابن حلزة ، وابن الورد ، وابن مسعود الهذلى) بالرداءة ، وسموه اخلالا ، وتقصيرا عن درجة (الحذف الجيد) ، قال أبو هلال ، بعد أن ذكر الأبيات الثلاث : (ومثل هذا مقصر ، غير بالغ مبلغ ما تقدم فى هذا الباب من الحذف الجيد)(٣٥) ومعنى هذا أن الحذف على ثلاث درجات :

١ — حذف جيد ٢ — وحذف ردىء ، أو مخل بالمعنى المراد .

٣ — وحذف قبيح ، بالغ فى قبحه وشناعته أقصى الحدود .

والأبيات الثلاثة التى نحن بصددها من المستوى الأوسط .

وقد أخرج (السيوطى) هذا النوع من (الحذف الردىء) مستدلا على ذلك بأن المقام (فى بيت الحارث بن حلزة) يدل على الألفاظ المحذوفة(٣٦) ، وأدخله فى نوع بديعى يسمى (الاحتباك) ، الذى عرفه (برهان الدين البقاعى) نقلا عن بعض شيوخه بأنه (أن

---

(٣٥) الصناعتين ص ٢٠٧ .

(٣٦) شرح عقود الجمان ص ٦٧ .

تذكر جملتان ، فى كل متقابلان ، ويحذف من كل ضد ماذكر فى الأخرى)» كقوله تعالى : (فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة)(٣٧) ، فحذف من الأول (مؤمنة) ، ومن الثانى (تقاتل فى سبيل الشيطان) ، وقال (ابن جابر الأندلسى) : (من أنواع البديع : الاحتباك ، وهو نوع عزيز ، وهو : أن يحذف من الأول ما ثبت نظيره فى الثانى ، ومن الثانى ما ثبت نظيره فى الأول ، كقوله تعالى : (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق ..) الآية(٣٨) ، التقدير : ومثل الأنبياء والكفار ، كمثل الذى ينعق والذى ينعق به ، فحـــذف من الأول (الأنبياء) لدلالة (الذى ينعق) عليه ، ومن الثانى (الذى ينعق به) ، لدلالة (الذين كفروا) عليه ، وقوله تعالى : (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء)(٣٩) ، التقدير : تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضـــاء ، فحذف من الأول (تدخل غير بيضاء) ومن الثانى (وأخرجها) ، قال (السيوطى) : ومن ألطفه قوله تعالى : (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا)(٤٠) ، أى : خلطوا عملا صالحا بسىء ، وآخر سيئا بصالح ...)(٤١) .

هذا حاصل رأى (السيوطى) .

ولا خلاف على (الحذف) فى هذه الآيات ، وأنه أبلغ من الذكر ، انما الخلاف على شواهد الاخلال الثلاثة ، فقدامة ومن تبعوه يعدونها من الحذف الردىء ، أو المخل ، وان لم تبلغ أقصى درجات القبح ، لامكان فهم المعنى بتقدير المحذوف .

---

(٣٧) آل عمران : ١٣ .

(٣٨) البقرة : ١٧١ .

(٣٩) النمل : ١٢ .

(٤٠) التوبة : ١٠٢ .

(٤١) شرح عقود الجمان ص ١٣٣ ، والاتقان ٢ : ٧٩ ــ ٨٠ .

و (السيوطى) يعد أول شواهد الاخلال حذفا حسنا ، سماه (الاحتباك) والى رأيه أميل ، لأننا لو نظرنا الى أمثلة الاخلال لوجدنا فيها قرينـــة تدلنا على اللفظ المحذوف ، واذا كانت هناك قرينة دالة ، فلا اخلال ، كما ذكر (السبكى)(٤٢) .

ودلالة القرينة هنا ليست ظنية ، لا يهتدى اليها الا بمزيد نظـــر وتأمل ، كما قال (الدسوقى)(٤٣) .

بل دلالتها واضحة فى رأيى .

واذا نظرنا الى المراد من شواهد (الاخلال أو الحذف الردىء) عند قدامة وتابعيه ، وجدناها تصلح أن تكون من شواهد (الاحتباك) عنـــد (ابن جابر) ، و (البقاعى) ، و (الســـيوطى) أو ما ســـماه (الزركشى) (الحذف المقابلى)(٤٤) .

ففى قـــول الشـــاعر :

والعيش خـــير فى ظـــلا ل النـــوك ممن عاش كـــدا

التقدير : العيش الناعم فى ظلال الحمق خير من العيش الشاق فى ظلال العقل ، حذف منه صـــفة العيش الأول ، وهى (الناعم) ، اكتفاء بذكر (الشـــاق) ، الذى يدل عليه قوله (كدا) ، وحذف من الثانى (ظلال العقل) ، اكتفاء بذكر مقابله ، وهو (فى ظلال النوك) ، وفى قـــول الشـــاعر :

أعـــاذل عاجل ما أشـــتهى أحـــب من الأكثـــر الرائث

---

(٤٢) عروس الأفراح ٣ : ١٧٢ ، ١٧٣ .
(٤٣) حاشية الدسوقى ٣ : ١٧٢ .
(٤٤) البرهان ٣ : ١٢٩ ـ ١٣٢ .

التقـــدير : عاجل ما أشـــتهى مع القلة ، أحب الى من رائثه مع الكثرة ، فقد حذف من الأول (مع القلة) اكتفاء بمقابله ، فى قوله : (من الأكثر) ، وهكذا ...)(٤٥) .

التكـــرار المعيـــب

ان اللفظة المعادة شأنها (غالبا) شأن الكلام المعاد ، تمله النفس ويأباه ذوق اللغة ، لأن اللغة وسيلة رمزية لنقـــل الأفكـــار والمشـــاعر والانفعالات ، والتجـــارب المختلفـــة الى الآخرين من أقرب طريق ، ولا شىء يعرقل عملها قدر ما تعرقله ألفاظ تتكرر دون أن تضيف جديدا تخدم به الغرض ، أو توضح المعنى ، وتزيده تأكيدا ، انها حينئذ تكون كالجنادل التى تعترض المجرى المتدفق للنهر ، تعوق ســـيره ، وتعرقل حركة الملاحة فيـــه(٤٦) .

وأول ذلك ما يختص بـــ (تكرار الحروف) ، أعنى تكرير حرف واحـــد ، أو حرفين فى كل لفظة من ألفاظ الكلام المنثور أو المنظوم ، فيثقل النطق به حينئذ . فمن ذلك قول القائل :

وقبـــر حرب بمكان قفـــر وليس قرب قبـــر حرب قبر

فهذه القافات والراءات كأنها فى تتابعها سلسلة ، ولا خفاء بما فى ذلك من الثقل ، حتى ذكروا أنه لا يتهيأ لأحد أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات ، الا ويتتعتع فى احداها(٤٧) .

---

(٤٥) رؤية جديدة للايجاز والاطناب ص ٦٦ .

(٤٦) من بدائع النظم القرآنى ص ٥٤ .

(٤٧) النكت فى اعجاز القرآن ص ٩٥ ، والمثل السائر ١ : ٤٣٧ ، ودلائل الاعجاز ص ٥٧ .

وهذا ما سماه البلاغيون المتأخرون (تنافر الكلام) ، والتنافر ضد التلاؤم ، الذى هو سهولة مخارج الألفاظ ، وسلاستها ، أو كما قال (الرمانى) : (التلاؤم : تعديل الحروف فى التأليف)(٤٨) ، ومن ذلك قول (الحريرى) :

وازور من كان له زائرا وعاف عافى العرف عرفانه

فانظر الى قوله : (وعاف عافى العرف عرفانه) ، تجد فيه من التكرير المعيب ما لا يخفى .

وذكر (ابن الأثير) أن بعض الوعاظ قال فى جملة كلام أورده : (جنى جنات وجنات الحبيب) ، فصاح رجل من الحاضرين فى المجلس ، فقال له رجل كان الى جانبه : (ما الذى سمعت حتى صحت)؟ فقال : (سمعت جيما فى جيم فى جيم ، فصحت)(٤٩) ، ومن هذا قول (المتنبى) :

كيف ترثى التى ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راقى

وراءها أى : رآها ، يريد : أن هذه المحبوبة لا ترحم باكيا ، وكيف ترحمه وهى ترى كل جفن من النظر الى جفنها غير راق بالبكاء ، أى غير منقطع عن البكاء ، وهذا يوضحه مطلع القصيدة التى منها هذا البيت وهو :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى المآقى(٥٠)

---

(٤٨) النكت فى اعجاز القرآن ص ٩٤ ، ودلائل الإعجاز ص ٥٧ .

(٤٩) المثل السائر ١ : ٤٣٨ .

(٥٠) الوساطة ص ٨٤ ، والمثل السائر ١ : ٤٣٨ .

وعلى هذا الأسلوب هذا البيت :

قالت مطـال مولود مفـدى مليـح مانـع منى مرادى

قال (ابن الأثير) : (هـذه الميمات كأنها عقد متصلة بعضـها ببعض)(٥١) قالوا : وتكرار الحروف على طبقات ، فمنه المتناهى فى الثقـل المفرط فيـه ، كالذى مضى ، ومنـه ما هو أخف منه كقـول (أبى تمـام) :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى جميعا ومهما لمته لمته وحدى

أى : لا أمدحه بشىء الا صدقنى الناس فيه(٥٢) .

والشاهد فيه عند المتأخرين : التنافر ، أى تنافر الكلمات ، لمـا فى تكرار لفظ (أمدحه) من الثقـل ، لقرب مخرج الحاء من الهاء ، لان المخارج كلما قربت كانت الألفـاظ مكدودة ثقلة غير مسـتقرة فى أماكنها ، واذا بعدت كانت بعكس ذلك ، ولهذا لا يوجد فى كلام العرب العين مع الغين ، ولا مع الحاء ، أو الخاء ، ولا الطاء مع التاء(٥٣) .

وذكـر (الجاحظ) أن بعض الحروف الهجائية لا تقبل القران ببعض ، (فان الجيم لا تقارن الظاء ، ولا القاف ، ولا الطاء ، ولا الغين بتقديم ولا تأخير ، والزاى لا تقارن الظاء ، ولا السين ، ولا الضاد ، ولا الذال بتقديم ولا تأخير)(٥٤) .

---

(٥١) المثل السائر ١ : ٤٣٨ .

(٥٢) دلائل الاعجاز ص ٥٨ ، ونهاية الايجاز ص ١٢٣ .

(٥٣) شروح التلخيص ١ : ٩٩ ـ ١٠٠ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٣٧

(٥٤) البيان والتبيين ١ : ٦٩ ، ونظرات فى علم المعانى ص ٣٥ .

وقد ذكر (ابن جنى) المتوفى سنة ٣٩٢هـ كلمات أهملها العرب، لتقارب مخارج حروفها ، وكأنه يفسر ما ذكره الجاحظ هنا ، فمن هذه الكلمات : سص ، وطس ، وظث ، وثظ ، وضش ، وشض ؛ وقج ؛ وجق ، وكق ، وقك ، والسبب فى عدم استعمالها ، عند « ابن جنى » نفور الحس منها ، ووضوح المشقة فى النطق بها ، لتقارب مخارج حروفها ، ولا سيما ما تكون حروفه حلقية ، فانها كما قال (ابن جنى) من الائتلاف أبعد ، لظهور التقارب بينها عن معظم الحروف(٥٥) .

وغنى عن البيان أن منشأ الثقل فى بيت أبى تمام السابق هو تكرار كلمة (أمدحه) ، مع اشتمالها على حرفين حلقيين ، لأن الثقل انما ينشأ عن اجتماع الأمرين ، وهما وجود حروف متقاربة المخرج ، وخاصة الحلقية ، وتكرار الكلمات التى اشتملت على هذه الحروف ، والا فان فى بيت أبى تمام كلمة أخرى تكررت ، ولم يترتب على تكرارها ثقل ، وهى كلمة (لمته) ، لعدم تقارب مخارج حروفها ، ثم انك قد تجد تقارب المخارج (بغير تكرار الكلمة) واقعا فى التنزيل ، قال تعالى : (ومن الليل فسبحه)(٥٦) .

ذكر (سعد الدين) أن الصاحب بن عباد كان قد أنشد القصيدة التى منها بيت أبى تمام السابق ، فى مجلس (أبى الفضل ابن العميد)، فسأله أبو الفضل عما يعرف فى البيت من هجنة ، فأجاب : مقابلة المدح باللوم ، وانما يقابل بالهجاء ، فقال أبو الفضل : غير هذا أريد ، فقال الصحب : لا أدرى ، قال أبو الفضل : هذا التكرار فى (أمدحه

---

(٥٥) نظرات فى علم المعانى ص ٣٥ ، ٣٦ ، والخصائص ١ : ٥٤ ، ومسائل للبلاغة فى كتاب الخصائص ص ١ .

(٥٦) ق : ٤٠ .

أمدحه) ، مع الجمع بين الحاء والهاء ، وهما من حروف الحلق ، خارج عن حد الاعتدال ، نافر كل التنافر ، فأثنى عليه الصاحب(٥٧) .

وقد نقل (الخطيب) أن من مظاهر فصاحة الكلام خلوصه من (كثرة التكرار) ، ولذا ذم قول المتنبى :

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد(٥٨)

والشاهد فى كثرة الضمائر وتكرارها(٥٩) قال (ابن الأثير) : فقوله : (لها منها عليها) من الثقيل الثقيل الثقيل(٦٠) .

لكن قد اعترض على هذا بأن كثرة التكرار .. ان أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدمت أمثلته ، وهو ما سماه المتأخرون (تنافر الكلمات) ، ألا ترى أن التنافر فى (وقبر حرب ... البيت) انما هو تكرار المتماثلات ؟ وعليه فكثرة التكرار لا تخل بفصاحة الكلام ، بدليل وجودها فى التنزيل ، فى قوله تعالى (والشمس وضحاها ..) الى آخر السورة(٦١) ، وفى الحديث الشريف ، وهو قوله ﷺ فى وصف سيدنا يوسف عليه السلام : (الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم)(٦٢) لكن (السبكى) يرى أن كل اسم فى الحديث

---

(٥٧) مختصر السعد ١ : ١٠٣ .

(٥٨) سبوح : فرس سريعة .

(٥٩) الايضاح وشروح التلخيص ١ : ١١٣ .

(٦٠) المثل السائر ١ : ٤٣٦ .

(٦١) الشمس ١ـ ١٥ .

(٦٢) الحديث رواه ابن حبان فى صحيحه فى النوع الرابع من القسم الثالث عروس الأفراح ١ : ١١٦ .

لمسمى غير الآخر ، فوصف كل بصفة (الكريم) ، وان كان تكرارا فى اللفظ ، الا أن الموصوف مختلف ، بخلاف الضمائر فى بيت المتنبى :

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد

فان هذه الضمائر ترجع لشىء واحد ، وهو الفرس السريعة(٦٣) .

٢ ــ تكرار الصيغة الفعلية :

وهو قسم من أقسام ما يسميه (ابن الأثير) : المعاظلة اللفظية، ويراد بتكرار صيغة الفعل أن ترد ألفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا ، فمنها ما يختلف بين ماض ومستقبل ، ومنها ما لا يختلف ، وقد مثل ابن الأثير للأول بقول (الأرجانى) على لسان الشمع والعسل :

بالنار فرقت الحوادث بيننا وبها نذرت أعود أقتل روحى

فقوله : (نذرت أعود أقتل) من المعاظلة المشار اليها .

وأما ما يرد على نهج واحد من الصيغة الفعلية ، فكقول أبى الطيب المتنبى :

أقل أنل أقطع أجمل عل سل أعد

زد هش بش تفضل أدن سر صل

فهذه ألفاظ جاءت على صيغة واحدة ، وهى صيغة الأمر ، كأنه قال : (افعل ، افعل ... هكذا الى آخر البيت ، وهذه ألفاظ متراكبة متداخلة ، وردت بغير واو عطف بينها ، ولو عطفها بالواو لكانت أقرب تحالا ، كما قال عبد السلام بن رغبان (ديك الجن) :

---

(٦٣) راجع الايضاح ، وعروس الافراح ١ : ١١٢ ــ ١١٦ .

فمسد الناس فاطلب الرزق بالسيف الا فمت شـــديد الهـــزال
أحـــل وأمرر وضر وانفـــع ولن واخشن وأبرر ثم انتدب للمعالي

ألا ترى أنه لما عطف ها هنا بالواو ، لم تتراكب الألفاظ كتراكبها في بيت (أبي الطيب) المتقدم ذكره ؟(٦٤) .

وأما قوله تعالى : « فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد »(٦٥)

فيختلف عما سبق من وجوه :

ـ أحدها كثرة الصيغ الفعلية في البيتين ، وقلتها في الآية ، ففي بيت المتنبي أربع عشرة صـــيغة فعلية وفي الثاني من بيتي ديك الجن ثمان،وفي الآية أربع صيغ فقط،ولا شك أن كثرة الصيغ تقتضي تراكب بعضها على بعض ، مما يوجب الثقل على النطق ، فيكون أكثر تعاظلا .

ـ ثم ان ما يفصل بين صـــيغه بواو العطف يكون أقل ثقلا مما لا يفصل ، ولذا فبيت المتنبي السابق أشـــد ثقلا من الذي يليه لخلوه من العطف ، فقد أتت الألفاظ فيه مكررة على صيغة واحدة ، كأنها عقد متصلة،أما البيت الثاني من بيتي ديك الجن فقد عطفت الصيغ فيه بالواو

ومثل ذلك في الآية ، فضلا عن أن التكرير فيها على الحقيقة بين صيغتين ثنتين ، وهما (خذوهم) ، (واحصروهم) ، وقد توســـطتا الصيغ الأربع ، أما الصيغة الأولى في الآية ، وهي (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ، فانها قد أضيف اليها كلام آخر ، وهو تقييـــدها

---

(٦٤) المثل السائر ١ : ٤٤٠ ـ ٤٤٢ .
(٦٥) التوبة : ٥ .

ب ـ (حيث وجدتموهم) ، وكذلك الصيغة الرابعة ، فقد أضيف اليها كلام آخر أيضا ، فقيل : (واقعدوا لهم كل مرصد) .

فلا جرم أن الآية جاءت غير ثقيلة على النطق ، مع توارد صيغة الأمر فيها أربع مرات(٦٦) .

٣ ـ تكرار الصفات :

وهذا أيضا قسم من أقسام (المعاظلة اللفظية) عند (ابن الأثير) ومعناه : أن ترد صفات متعددة على نحو واحد ، كقول (أبى تمام) في (جمل) :

سأخرق الخرق بابن خرقاء كالهيق اذا ما استحم من نجده
مقابل فى الجديل صلب القرا لوحك من عجبه الى كتده
تامكه نهذه مداخله ملمومه محزئله أجده

فالبيت الثالث من المعاظلة المذكورة ، وفى ألفاظ هذه الأبيات غموض شديد(٦٧) ، بلغ روته فى البيت الثالث ، حتى وصفه (ابن الأثير) بأن فيه معاظلة قلع الأسنان دون ايرادها .

وكذلك قال (أبو تمام) يصف رمحا :

---

(٦٦) المثل السائر ١ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣ .

(٦٧) الخرق : الفلاة ، الخرقاء : الناقة ، والهيق : ذكر النعام ، والنجد : العرق ق والجديل : المقود المجدول ، القرا : الظهر ، العجب : أصل الذنب ، الكتد : مجتمع الكتفين ، تامكة : حدبته ، نهده : ندبه ، محزئلة : مرتفع سيره ، أجده : فقار ظهره

ومر تهفو ذؤابتاه على أسمر متن يوم الوغى جسده
مارنه لدنه مثقفة عراضه في الأكف مطرده(٦٨)

ويقول (أبو تمام) أيضا في وصف الممدوح :

اليك عن سيل عارض خضل الشؤبوب يأتي الحمام من نضده
مسفه ثره مسحسحه وابله مستهله جرده(٦٩)

ولا مرية في قبح تكرار الصفات في هذه الأبيات ، ولكن السؤال الذي يتحتم الاجابة عنه هو : ما منشأ الثقل في هذا النوع ، ليس ذلك راجعا الى تكرار الصفات فقط ، بل ان ذلك قد تعضد بما اتسمت به ألفاظ الأبيات المذكورة من غموض وصعوبة ، هذا ما أراه ، وأعتقد أن (ابن الأثير) يختلف رأيه عن ذلك ، لأني رأيته بعد أن ذكر شعر أبي تمام المتقدم ، أتبعه بمثال آخر من شعر المتنبي ، وحين تقرأ هذا الشعر تجده أقل غموضا بكثير ، من أبيات (أبي تمام) السابقة ، ومع ذلك يسوق (ابن الأثير) هذا وذاك مساقا واحدا ، فيقول : (وعلى هذا ورد قول أبي الطيب المتنبي :

---

(٦٨) تهفو : تخفق ، الذؤابة : ضفيرة الشعر المرسلة ، والجسد (بكسر السين) : المصبوغ بالجسد ، أي : الزعفران ، والمارن : الصلب اللين ، اللدن : اللين ، المثقف : المقوم ، عراضه : صفحته ، مطردة يقال : رمح مطرد الأنابيب ، أي : متناسقها .

(٦٩) العارض : السحاب ، الخضل : الندى ، الشؤبوب : المطر ، الحمام : الموت ، النضد : المتراكم والمسف : القريب من الأرض ، والثر : الكثير الماء ، والمسحسح : السائل من فوق ، المستهل : المتلألئ .

دان بعيد محب مبغض بهج أغر حلو ممر لين شرس
ند أبى غر واف أخى ثقة جعدسرى نه ندب رضى ندس(٧٠)

وهذا كأنه سلسلة بلا شك ، وقليلا ما يوجد فى أشعار الشعراء ، ولم أجده كثيرا الا فى شعر الفرزدق ، وتلك معاظلة معنوية ، ... وهذه معاظلة لفظية ، وهى توجد فى شعر أبى الطيب كثيرا)(٧١) .

هذا كلام (ابن الأثير) ، وهو يريد بالمعاظلة المعنوية التى تكثر فى شعر الفرزدق :

قبح التقديم والتأخير ، فى بيته المشهور :

وما مثله فى الناس الا مماكا أبو أمه حى أبوه يقاربه

و (دان) : بدل من (أبيض) فى البيت قبله ، وهو قول من كل أبيض وضاح عمامته كأنما اشتملت نورا على القبس

وكل الصفات التى تلت (دان) مجرورة مثله ، والموصوف بها هو (عبيد الله بن خراسان الطرابلسى) ، الممدوح بالأبيات(٧٢) .

والواقع أن ذكر (ابن الأثير) لبيتى أبى الطيب فى (المعاظلة

---

(٧٠) شرس : صعب ، ند : جواد ندى الكف ، الأبى : الذى يأبى الدنايا ، غر : مغرى بفعل الجميل ، جعد : ماض فى الأمر ، سرى : من سرى يسرو فهو سرى ، اذا صار شريفا ، نه : ذو نهيه ، وهى العقل ، وندب : سريع فى الأمر اذا ندب اليه ، والندس : العارف بالأمور ، البحاث عنها . التبيان فى شرح الديوان ٢ : ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٧١) المثل السائر ١ : ٤٤٥ .

(٧٢) التبيان فى شرح الديوان ٢ : ١٨٩ ، ١٩٠ .

اللفظية) هنا ، ووصفه لتوالى الصفات فيهما بأنها كأنها سلسلة ان كان مراده ذم هذا الصنيع ، بدليل اعتباره اياه معاظلة لفظية فنحن لا نوافقه على ذلك ، انها سلسلة من الصفات ، لا جدال فى ذلك ، لكنها سلسلة ذهبية ، صحيح أن فى بعض هذه الصفات غموضا يحتاج الى توضيح لكن غموضها أقل بكثير من غموض ما سبق فى أبيات أبى تمام :

ويدلك على ذلك أن نفرا من البلاغيين قد ذكروا نوعا بديعيا سموه (تنسيق الصفات) ، وتمثل بعضهم له ببيتى المتنبى(٧٣) ، وأبيات وآيات وأحاديث ، وقطع نثرية ، وقد جاءت الواو العاطفة فى بعض أمثلة هذا اللون ، وسقطت فى بعضها الآخر .

وعرفوا هذا النوع بأنه هو : أن يذكر الشىء بصفات متوالية ، كقوله تعالى : « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر »(٧٤) ، وقوله : « ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم »(٧٥) ، ومن الأحاديث قوله (صلى الله عليه وسلم) : (ألا أخبركم بأحبكم الى ، وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، ألا أخبركم بأبغضكم الى ، وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة ، أساوئكم أخلاقا ، الثرثارون المتفيهقون)(٧٦) .

---

(٧٣) حسن التوسل ص ٢٤٨ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٣١ .

(٧٤) الحشر : ٢٣ .

(٧٥) القلم : ١٠ – ١٣ .

(٧٦) الحديث فى مسند الامام أحمد ٤: ١٩٣ ، وسنن الترمذى كتاب البر ، والصلة ، رقم ٢٠١٨ ، وقال عنه : حديث حسن غريب ، ومطلعه : ان أحبكم ، وسقط منه الموطئون .. الخ .

ومن النظم قول (العباس بن عبد المطلب) فى النبى (صلى الله عليه وسلم) :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل(٧٧)

وقول (حسان) :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول(٧٨)

ومن كلامهم : فلان حسن السيرة ، نقى السريرة ، طيب الأعراق ، كريم الأخلاق ، ظاهر النسب ، زاهر الحسب ، حميد الشمائل ، كثير الفضائل(٧٩) .

فمن هذا يتضح لنا أن توالى الصفات ليس عيبا على الاطلاق ، بل لا يكون كذلك الا فى حال غموض معانى هذه الصفات ، وشناعة نظامها ، كما اتضح فى أبيات أبى تمام .

لكن توالى الصفات قد يكون حسنا ، ودليلا على تفوق الأسلوب وحسن النسق ، كما فى بيتى أبى الطيب ، والأمثلة التى تلته ، خلافا لما رأه ابن الأثير فى بيتى أبى الطيب .

---

(٧٧) نسب البيت الى أبى طالب أيضا ، وثمال اليتامى : غياث لهم ، وعصمة للأرامل : يمنعهم ويحفظهن .

(٧٨) شم الانوف : كناية عن رفعتهم وعلو شأنهم ، والبيت فى ديوانه ص ١٨٤ .

(١٧٩) ينظر النص فى حدائق السحر ص ١٥٠ .

التكـــرار بالتـــرادف

وهو ما سماه (الخطيب) : التطويل ، وهو : (أن يكون اللفظ زائدا على أصل المراد ، لا لفائدة ، واللفظ الزائد غير متعين) ، كالجمع بين لفظى (الكذب ، والمين) ، فى قول (عدى بن زيد العبادى) :

وقددت الأديم لراهشـــيه وألفى قولهـــا كذبا ومينـــا

فجمعـــه بين (الكذب والمين) لا فائـــدة فيـــه ، لأنهما بمعنى واحد(٨٠) ، وقريب من هذا ما ذكروا ، من أن (التقسيم) قد يفسد بأشـــياء ، ذكروا من بينها (تكرار القســـم الواحد) ، كقول (هذيل الأشـــجعى) :

فما برحـــت تومى الى بطرفهـــا وتومض أحيانا اذا خصمها غفل

لأن (تومى بطرفها) ، و (تومض) متساويان فى المعنى(٨١) ولعل هذا مبنى على أن ايماء هذه المرأة بطرفها فيه ايماض ، لســـعة عينيها ، ولمعان بياضهما وسوادهما ، فاذا أو مأت له بهما فكأنما تومض وتبرق ، وينبعث اشعاع منهما شديد .

وعلى هـــذا الفهم يكون (الايماء بالطرف) ، و (الايماض) سواء فى المعنى ، ففى ذكر أحدهما غنى عن الآخر(٨٢) .

---

(٨٠) الايضاح ٣ : ١٧٣ مع شروح التلخيص ، ومعاهد التنصيص ١ : ٣١٠ ـ ٣٢٣ .

(٨١) نقد الشعر ص ١٩٢ ، والموشح ص ٧٥ ، والصناعتين ص ٢٧٨

(٨٢) قال حازم القرطاجنى : ويحتمل أن يريد بقوله تومض : تبتسم وهذا الوجه أولى بأن يحمل البيت عليه ، ليسلم الكلام بذلك من المحال منهاج البلغاء ص ١٥٧ .

ومن ذلك أيضا ما كتبه بعضهم الى عامل (ففكرت مرة فى عزلك ، ومرة فى صرفك وتقليد غيرك ...) وما كتبه الى عامل آخر : ... فتارة تسرق الأموال وتختزلها ،وتارة تقتطعها وتحتجبها) فمعنى الجزاءين واحد(٨٣) .

فاسد (التقديم والتأخير)

للتقديم والتأخير محاسن جمة ، ومواضع كثيرة ، ذكرها البلاغيون ، وليس هذا مقصودا ، فى هذه الدراسة ، انما المقصود (فاسد التقديم والتأخير) ان للتقديم والتأخير ضوابط نظمية ، وأسسا بلاغية ، لابد منها ليكون حسنا ، والا كان الكلام المشتمل عليه (تأليفا فاسدا ، وتركيبا قبيحا ، ونظما معيبا) ولكل جزء من أجزاء الجملة العربية دوره فيها ، ومكانه الذى ينبغى أن لا يتحول عنه الا لمغزى بلاغى ، وغرض بيانى ، يعود على المعنى بالثراء .

فالفعل يأتى قبل (الفاعل) ، و « الفاعل » يأتى قبل « المفعول به » ، و « الجار والمجرور » .. وهكذا يأتى (المبتدأ) قبل « الخبر » ، و (الموصوف) قبل (الصفة) ، و (الموصول) قبل (الصلة) ، و (صاحب الحال) قبل (الحال) ، و (المميز) قبل (التمييز) .الخ

فاذا وضع أحد هذه الأنواع فى غير موضعه ، كأن تقدم صفة على موصوفها ، أو صلة على موصولها ، جاء التركيب مختلا ، وكان نظما فاسدا ، لأن وضع كل جزء من أجزاء الجملة فى موضعه ، وعلى الوجه الذى يقتضيه (علم النحو) ، معناه أن الجملة قد رتبت ألفاظها ، على حسب ترتب المعنى المراد منها ، فى الذهن ، فالنظم هو : ترتيب

---

(٨٣) الصناعتين ص ٣٧٩ .

الألفاظ ، داخـــل التراكيب ، تبعا لترتب معانيها فى الذهن ، أو (أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه (علم النحو) ، وتعمل على قوانينه ، وأصوله ، وتعرف مناهجه التى نهجت ، فلا تزيغ عنها ، تحفظ الرسوم التى رسمت لك ، فلا تخل بشىء منها ، كما قال (عبد القاهر)(٨٤) فان أخل مؤلف الكلام بشىء من ذلك ، فرتبه على غير ترتيب معناه فى فى الذهن ، فسد كلامه ، واضطرب نظمه ، فلا يستطيع أحـــد أن يفهم المراد منه ، بسبب ما حصل فيه من تقديم وتأخير ، على غير وجهـــة ، قال (العتابى) : (الألفاظ أجساد ، والمعـــانى أرواح ، وانما تراها بعين القلوب ، فاذا قدمت منها مؤخرا ، أو أخرت منها مقدما ، أفسدت الصورة ، وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس الى موضـــع يد ، أو يد الى موضع رجل ، فان الخلقة تتحول ، والحلية تتغير)(٨٥) .

وهذا الكلام المضطرب النظام ، المختل الترتيب ، المعقد اللفظ ، يسمى (المعاظلة) عند النقاد(٨٦) .

---

(٨٤) دلائل الاعجاز ص ٨١ .

(٨٥) علوم البلاغة ص ٢٩ .

(٨٦) أطـلق قدامة المتوفى سـنة ٣٣٧ هـ (المعـاظلة) على (فاحش الاستعارة ورديئها) كاطلاق (التولب) ، وهو ولد الحمار ، على (الصبى) فى قول الشـاعر :

وذات هـدم عار نواشرها تصـمت بالماء تولبـا جدعا

وتعقبه النقد ، وذكروا أن معناها اللغوى لا يتناسب مع هذا الاطلاق فهى فى اللغة بمعنى ركوب الشىء بعضه فوق بعض ، تقول : تعاظل الجراد وتعاظلت الكلاب ، أى : ركب بعضها بعضا عند السـفاد ولهـذا أطلقوا المعاظلة على ما نحن فيه من سوء التأليف ، لمداخلة ألفـاظه ، بعضـها فى بعض نقد الشعر ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، والموازنة ص ٢٥٨ – ٢٦٠ ، والمثل السائر ٢ : ٢٤٨ .

وكان النحـــاة قديما يطلقون على هـــذا وأمثـــاله (اللحن) ، و (الغلط) ، ولم يزل النقـــاد والرواة يتعقبون الشعراء ، ويسجلون عليهم المـــآخذ فى هذا الباب ، والبلاغيون المتأخرون سموا (التقديم والتأخير فى غير موضعهما) تعقيدا لفظيا .

١ ــ أمثلة للمعيب من التقديم والتأخير :

وقد مثلوا لذلك بأمثلة أظهرها قول (الفرزدق) يمدح (ابراهيم المخزومى) ، وهو خال (هشام بن عبد الملك) :

وما مثله فى الناس الا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربـــه

يريد : وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه ، فقدم وأخر ، وتعسف فى نظمه ، ليعطينا هذا المعنى البســـيط ، حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل مع قوله :

تصرم عنى ود بكر بن وائل وما كاد منى ودهم يتصرم
قوارص تأتينى ويحتقرونها وقد يملأالقطر الاناء فيفعم

وكأنه لم يقع هذا الكلام لمن يقول :

والشيب ينهض فى الشـــباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار(٨٧)

والضمير فى (أمه) لهشام بن عبد الملك (الممدوح) ، وفى (أبوه) للممدوح ، ففصل بين (أبو أمه) وهو مبتدأ ، و (أبوه) وهو خبره ، بأجنبى وهو حى ، وكذا فصل بين حى ويقاربه وهو نعته بأجنبى وهو (أبوه) ، وقدم المستثنى على المستثنى منه ، وهو موضع الاستشهاد هنا . ولا يخفى أن هذا النوع من الكلام يوصـــف بالقبح لخفاء المعنى

---

(٨٧) الموشـــح ص ٩٣ ، ٩٤ .

فيه ، بسبب هـذه التصرفات ، وهى تصرفات لا تقع عفوا ، بل تأتى مقصـودة متعمدة متكلفة فى كثير من الأحيان ، على حـد ما صـنع (الفرزدق) (والا فاذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرى على سجيتها وطبعها فى الاسترسال لم يعرض له شىء من هذا التعقيد ، ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم فى هذا الضرب المشار اليه ، اذ المقصود من الكلام انما هو الايضاح والابانة وافهام المعنى ، فاذا ذهب هـذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به .

ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما(٨٨) ومن هذا الباب تقديم الصـفة على الموصوف ، كقول الشـاعـر :

فقد والشك بين لى عنـاء يوشك فراقهم صرد يصيح

ففى هذا البيت تقديم الصفة (وما اتصل بها) على الموصوف ، أعنى أنـه قدم قـوله (يوشـك فراقهم) وهو معمول (يصـيح) ، و (يصيح) صفة لـ (صرد) على (صرد) ، وذلك قبيح ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال : هذا من موضـع كذا رجـل ورد اليوم ، وانما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل ؟ فكما لا يجوز تقديم الصـفة على موصـوفها فكذلك لا يجـوز تقديم ما اتصـل بهـا على موصـوفها(٨٩) .

ومن هذا الباب تقديم خبر الفعل الناسخ عليه ، كقول الشاعر :

فأصبحت بعـد خط بهجتها كأن قفرا رسـومها قلمـا

---

(٨٨) المثل السائر ٢ : ٢٥١ .

(٨٩) الخصائص ٢ : ٣٩٠ ، ٣٩١ ، والمثل السائر ٢ : ٢٤٩ .

فانـــه قـــدم خبر (كأن) عليها ، وهو قوله (خط) ، والمعنى : فأصبحت بعد بهجتها قفرا ، كأن قلما خط رسومها(٩٠) .

ومن هذا الباب تقديم المضـــاف اليه أو شيء منه على المضاف ، كقـــول الشـــاعر :

وليست خراسان التى كان خالد بها أسد اذ كان سيفا أميرها

قالوا فى البيت : (... حديثه طريف ، وذلك أنه ـــ فيما ذكر ـــ يمدح (خالد بن عبد الله القسرى) ويهجوا « أســـدا »(٩١) ، وكان (أسد) وليها بعد (خالد) فكأن الشاعر يريد : (وليســـت خراسان بالبلدة التى كان بها خالد سيفا ، اذ كان أســـد أميرها) ففى كان على هذا ضمير الشـــأن والحديث والجملة بعدها التى هى (أسد أميرها) خبر عنها ففى هذا .. أشياء : منها : الفصل بين اسم (كان) الاولى وهو (أسد) عليها ، وفى تقديم المضاف اليه أو شيء منه على المضاف اذ كان) فهذا واحد . وثان : أنه قدم بعض ما (اذ) مضـــافة اليه ، وهو (أسد) عليها ، وفى تقديم المضاف اليه أو شيء منه على المضاف من القبح والفساد ما لا خفاء فيه ولا ارتياب .

وفيه أيضا أن (أسد) أحد جزأى الجملة المفسرة للضمير على شريطة التفسير ، أعنى ما فى (كان) منه ، وهذا الضـــمير لا يكون تفسيره الا من بعده ، ولو تقدم تفسيره قبله لمـــا احتاج الى تفسير ، ولمـــا سماه الكوفيون (الضمير المجهول)(٩٢) . »

---

(٩٠) الخصائص ٢ : ٣٩٣ ، والمثل السائر ٢ : ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

(٩١) هو أسد بن عبد الله القسرى

(٩٢) تحرير التحبير ص ٢٢١ ، ٢٣٢ ، وخزانة ابن حجة ٣ : ٤٤٣ .

ويعنينا من هذا التحليل ما يتصل بقبيح التقديم والتأخير ، أعنى تقديم جزء المضاف اليه على المضاف ، فى الموضع الثانى ، وتقديم أحد جزأى الجملة المفسرة لضمير الشأن عليه ، فى الأخير ، وها هنا سؤال يفرض نفسه ، وهو : اذا كان الشعر الذى ارتكبت فيه هذه المخالفات قد قيل فى عصر متقدم ، يتسم أهله بالفصاحة ، فلماذا ارتكبوا ذلك فى شعرهم ، وهم الفحول ؟

جمهور البلاغيين على أن التقديم والتأخير فى قول (الفرزدق): وما مثله فى النـــاس ... البيت ، قد وقع اضطرارا ، لأجل الوزن ، قـــال (ابن أبى الاصبع) : (فان اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك ، فحصل فى الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة ...) .

ولهذا تجـــد أكثر البلاغيين يأتون بهذه الأمثلة فى باب (عيوب ائتلاف اللفظ مع الوزن)(٩٣) .

ويرى (ابن جنى) أن هذه الضرورات تقع فى شعر الشـــاعر ، لا عن ضـــعف فصـــاحة وانما ادلالا بقوة طبعه ، ووضوح مراده له ، وبنائه على أنه لا غموض هناك قال : (فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها ، وانخراق الأصول بها ، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه (وان دل من وجه على جوره وتعسفه ، فانه من وجـــه آخر) مؤذن بصياله وتخمطه(٩٤) ، وليس بقاطع دليـــل على ضعف لغته ، ولا قصوره عن اختياره الوجه النـــاطق بفصاحته ، بل مثله عنـــدى فى ذلك مثـــل مجرى الجموح بلا لجام ، ووارد الحرب

---

(٩٤) يقال : تخمط الفحل : هدر وثار ، وتخمط : تكبر . لسان العرب (خمط) .

الضروس حاسرا من غير احتشام،فهو وان كان ملوما فى عنفه وتهالكه ، فانه مشهود له بشجاعته ، وفيض منته(٩٥) ...

والشاعر اذا أورد من ذلك شيئا فكأنه لأنسه بعلم غرضه ، وسفور مراده ، لم يرتكب صعبا ، ولا جشم(٩٦) الا آمما ، وافق بذلك قابلا له ، أو صادف غير آنس به ، الا أنه قد استرسل واثقا ، وبنى الأمر على أن ليس متلبسا)(٩٧) .

وأرى أن من حق القارئين والسامعين للشعر أن يفهموا معناه ، ويقفوا على أغراضه ، وكلام (ابن جنى) هذا يحمد عليه فى الاعتذار عن هذه الضرورات ، الا أن الشعراء لا يقولون الشعر لأنفسهم ، ولا يقرضونه ليحتبس المعنى فى صدورهم ، حتى نعذرهم على ارتكاب تلك الفوضى الكلامية ، فيلتبس الشعر على من يقرأ لهم ، ويسمع شعرهم)(٩٨) .

ولأستاذى (أبى موسى) رأى فى سبب ارتكاب (الفرزدق) لما ارتكبه فى بيته السابق ، يقول : (وأحسب أن (الفرزدق) وهو شاعر فحل ، يعرف طبائع اللغة ، وعوائد التراكيب انما فعل ذلك تهكما بالمدح والممدوح ، وولاء (الفرزدق) للعلويين ، وعداؤه لبنى أمية ، والممدوح منهم يغرى بهذا الظن)(٩٩) .

---

(٩٥) يقال : ذهب بمنته أى : بقوته القاموس المحيط ٤ : ٢٧٢ .

(٩٦) جشم الامر جشما وجشامة : تكلفة على مشقة . القاموس المحيط ٤ : ٩٠ .

(٩٧) الخصائص ٢: ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٩٨) رسالتى للماجستير ، مسائل البلاغة فى كتاب الخصائص ص : ٥٨ مخطوط فى كلية اللغة العربية بالقاهرة

(٩٩) خصائص التراكيب ص ٣٧

ومن أمثلة (التقديم المعيب) قول (الفرزدق) :

الى ملك ما أمــه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

ومحارب : رهط الفرزدق ، أى : الى ملك أبوه ما أمه من محارب، فقدم الخبر الجملة ، وهو (ما أمه من محارب) ، على المبتدأ ، وهو (أبوه) ومنه قول الآخر :

معاوى لم ترع الأمانة فارعها وكن حافظا لله والدين شاكر

فـ (شاكر) : اسم قبيلة ، وهو فعل للفعل المنفى (لم ترع) والمراد : يا معاوية لم ترع الأمانة (شــاكر) ، فارعها أنت ، وكن حافظا لله والدين(١٠٠) .

فقد أخر الفاعل عن الفعل المتعلق بمفعوله ، وفصل بفاصل كبير ، وهو قوله : (فارعها وكن حافظا لله والدين) ، بين الفعل وفاعله .

ومنــه قــول (المتنبى) :

من طــاعنى ثغر الرجــال جآذر ومن الرماح دمالج وخلاخل

ولذا اســم أغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل

الثغرة : ثغرة النحر ، والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والدملج: سوار يوضع فى العضد ، والمعنى : من قاتلى الرجال نســاء يشبهن الجآذر ، يتعلن بدمالجهن وخلاخلهن ما يفعل الطاعن بالرمح ، وانما سميت أغطية العيون جفونا ، لأن العيون تعمل عمل الســيوف ، وفى البيت الثانى : تقديم معمول (عوامل) ، وهو وان كان جائزا فقــد

---

(١٠٠) الخصائص ١ : ٣٣٠ ، ٢ : ٣٨٤ .

جعل البيت قبيح النظم ، سيىء العبارة ، لانضمام ذلك الى أشياء أخرى منها :

ـ أن المشار اليه بقوله (اذا) فيه خفاء ، فليس فى البيت الأول تصريح بعمل العيون ، ولهذا اضطر الى بيان المشار اليه بقوله : (من أنها عمل السيوف عوامل) .

ـ أنه استعمل كلمة (اسم) بمعنى التسمية ، وأضافها الى المفعول ، ونصب المفعول الثانى ، وهو جفونها ، وهذا الاستعمال غير معروف ، والأولى رفع (جفونها) ، على أنه خبر لـ (اسم)(١٠١) .

ومن فساد النظم ، وسوء الترتيب قول (أبى تمام) :

وكلما أمست الأخطار بينهم
هلكى تبين من أمسى له خطر(١٠٢)
لو لم تصادف شيات البهم أكثر ما
فى الخيل لم تحمد الأوضاح والغرر(١٠٣)

بنى (أبو تمام) البيت الثانى على أن التحجيل والغرر انما مدحت فى الخيل لعدم وجود نظائرها فى البهم ، ولم يمدح غيرهما من الشيات فى الخيل ، لاشتراك البهم والخيل فيها ، وهذا فساد فى

---

(١٠١) دراسات تفصيلية شاملة ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ، والوساطة : ٨٩

(١٠٢) الأخطار : عظائم الأمور ومهامها ، وهلكى : عظيمة وسامية ، يتنافس فيها ويحرص على بلوغها ، يريد : أن عظائم الأمور مقياس علو الهمة .

(١٠٣) الشيات : جمع شية : لون يخالف لون سائر الجسد ، والبهم الصغار من أولاد البقر والضأن والمعز ، والأوضاح : جمع وضح ، وهو : التحجيل ، والغرر : جمع غرة ، وهى البياض فى جبهة الفرس .

ترتيب البيت ، كما قال (الآمدى) ، لأنه ليس اذا وجدت شيات البهم أكثر ما فى الخيل ، أو وجدت شيات الخيل أكثر ما فى البهم كان ذلك موجبا لحمد الأوضاح والغرر ، وانما كان يصح نظم الكلام لو لم توجد الأوضاح والغرر فى البهم ، حتى تكون مخصوصة بالخيل ، فيقول : او لم تعدم الأوضاح والغرر فى البهم لما حمدت فى الخيل، فأما أن توجد شيات البهم فى الخيل كثيرا ، أو شيات الخيل فى البهم دائما ، فليس هذا بموجب حمد الأوضاح والغرر فى الخيل ، لأن الأوضاح والغرر موجودة فى الغنم أيضا(١٠٤) .

بل لو قال : (لو لم تقل الأوضاح والغرر فى البهم ، لما حمدت فى الخيل) لكان أقرب الى الصواب ، لأنى أظنها فى البهم أقل ، وفى الخيل أكثر ، وليس فى هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك(١٠٥) .

ومن أمثلة فساد النظم قول أبى تمام :

ولقد شفا الأحشاء من برحائها أن صار بابك جار (مازيار)
ثانيه فى كبد السماء ولم يكن كاثنين ثان اذ هما فى الغار

و (بابك ومازيار) : زعيمان خرجا على (المعتصم) ، فظفر بهما : ظفر أولا بـ (بابك) فصلبه ، ثم ظفر بـ (مازيار) ، فصلبه بجانبه .

و (ثانيه) : خبر لمحذوف ، أو خبر ثان لـ (صار) فى البيت السابق ، أى : هو ثان لـ (مازيار) فى كبد السماء ، مصولب معه فى الجو ، وليس ثانيا لاثنين فى الغار ، يريد (أبا بكر) رضى الله

---

(١٠٤) الموازنة بين أبى تمام والبحترى ص ١٨٣ .
(١٠٥) المرجع نفسه ص ١٨٤ .

عنه ، مع الرسول ﷺ ، وفساد النظم فى البيت من وجوه ، يعنينى منها هنا تقديم المضاف اليه على المضاف ، على الرواية التى أثبتها(١٠٦) ، اذ المراد : كثانى اثنين ، وفى البيت أيضا الاتيان بالمنصوب فى صورة المرفوع ، أى (ثان) فهو فى موقع الخبر لـ (يكن) ، واسمه ضمير (بابك) ، ورفع المنصوب وان ورد فى شعر من يحتج بشعرهم ، الا أنه معدود عند العلماء من ضرورات الشعر ، من ذلك قول الشاعر :

كفى بالنأى من أسماء كاف وليس لهجرها ان طال شاف

فحقه أن يقول : (كفى بالنأى من أسماء كافيا) ، وكقول الآخر :

ولو أن واش باليمامة داره ودارى بأعلى حضر موت اهتدى ليا

فقد كان من حق الكلام أن يقول : (ولو أن شافيا)(١٠٧) .

وكتب النقد والبلاغة مشحونة بصور مختلفة من أخطاء الشعراء ، فمن ذلك مما يتصل بـ (التقديم المعيب) قول (المتنبى) :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل

وجفخ : فخر ، وتكبر ، والأصل : جفخت بهم شيم وهم لا يجفخون بها ، وشيمهم دلائل على الحسب الأغر ، وفى البيت أيضا غرابة ، ووحشية فى الألفاظ(١٠٨) وكقوله أيضا :

---

(١٠٦) وهى رواية دلائل الاعجاز ص ٨٤ ، ورواية الديوان ، وأسرار البلاغة ، والموازنة : لاثنين ثان .

(١٠٧) الموازنة ص ٢٩ ، ٣٠ ، ودراسات تفصيلية شامنة ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(١٠٨) الوساطة ص ٨٩ ، المثل السائر ١ : ٢٧١ .

أنى يكون أبا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

التقدير : أنى يكون آدم أبا البرية ، وأبوك محمد ، وأنت الثقلان ؟ ففيه من التقديم والتأخير ما ترى ، ونظائر هذا كثيرة .

٢ ــ الخطأ فى (التقديم والتأخير فى الاستفهام)

هناك فرق بين تقديم الفعل ، وتقديم الاسم ، عقب همزة الاستفهام ، وحاصله : أن الذى يلى الهمزة منهما هو المسئول عنه :

فاذا بدأت بالفعل بعد الهمزة ، كان سؤالك عنه على أحد وجهين :

١ ــ الأول : الاستفهام عنه ، من جهة ثبوته للفاعل ، أو انتفائه عنه ، وذلك اذا كانت الهمزة لطلب التصديق ، كقولك : (أبنيت الدار التى كنت على أن تبنيها) ؟ ويكون الجواب عن هذا ونحوه بـ (نعم ، أو لا) .

٢ ــ الثانى : الاستفهام عن الفعل من جهة ثبوته ، أو ثبوت فعل آخر مكانه ، وذلك اذا كان المطلوب تصور الفعل المسند ، كقولك : أجرحت فلانا أم قتلته) ؟ (أأكرمته أم أهنته) ؟ (اشتريت هذا الكتاب أم استعرته) ؟ فانك هنا لا تسأل عن النسبة ، لأنك تعلم أن أحد الأمرين حاصل ، وانما تريد تعيين الحاصل منهما ، واذلك فالجواب عن هذه الأسئلة لا يصلح الا بتعيين أحدهما .

أما اذا بدأت بالاسم بعد الهمزة ، فانك تسأل عن الاسم ، دون الفعل ، سواء كان هذا الاسم فاعلا ، أم مفعولا ، أم ظرفا ، أم حالا ، أم غير ذلك .

أما الفعل المؤخر فمعلوم حينئذ ، لا سؤال عنه ، انما السؤال عن الاسم ، تقول فى السؤال عن المسند اليه (أو الفاعل) : (أأنت

بنيت هذه الدار أم أبوك) ؟ وفى السؤال عن المفعول : (أزيدا ضربت أم عمـــرا) ؟

وفى السؤال عن الظرف : (أفى المسجد صليت أم فى البيت) ، و (أيوم الخميس جئت أم يوم الجمعة) ؟

وفى السؤال عن الحال : (أراكبا جئت أم ماشيا) ؟

فأنت فى هذا ونحوه تعلم بالنسبة ، وانما السؤال عن المقدم من هذه الأسماء ، فالهمزة فى كل هذا لطلب التصور ، أى تعيين الفاعل ، أو المفعول ، أو الظرف ، أو الحال ، وغير ذلك ، و (أم) التى يليها المعادل فى هذه الأساليب تكون (متصلة) ، واذا لم يصرح بها فى مثل هذا تكون منوية مقدرة .

اذا تقرر هذا ، وتبين منه أن المسئول عنه بالهمزة هو ما يليها من فعل أو اسم ، ظهر لك فساد وضع أحدهما فى موضع الآخر .

أى : أن يكون السؤال عن الفعل فتقدم الاسم ، أو يكون السؤال عن الاســـم فتقدم الفعل ففاســـد أن تقول : (أأنت بنيت الدار التى كنت على أن تبنيها) ؟ فان تقديم الاسم يشعر بأنه هو المسئول عنه ، المشكوك فيه ، وأما الفعل فثابت لا سؤال عنه ولا شـــك فيه ، مع أن الشك انما هو فى ثبوت الفعل ، لا فى الفاعل .

وكذلك فاسد أن تقول : (أأنت جرحت فلانا أم قتلته) ؟ لهذا السبب نفسه ، فان تقديم الاسم يشعر أنه المشكوك فيه ، والمعادل يدل على أن الشك فى الفعل ، لا فى الفاعل .

ولا يستقيم أيضا أن تقول : (أبنيت هذه الدار ؟) لأن تقديم الفعل يفيد أنك شـــاك فى بنائها ، مع أن الاشـــارة اليها تدل على أنها مبنية مشاهدة ، وانما الشك فى البانى .

وقد استدل عبد القاهر على كون المقدم بعد الهمزة ــ اسما كان أو فعلا ــ هو المسئول عنه ، دون المؤخر بأنه يصح عند العارفين بالأساليب العربية أن تقدم الفعل عقب الهمزة ، والمفعول عام ، فتقول : أقلت شعرا ؟ أشربت ماء ؟ ونحو ذلك .

ولا يصح عندهم أن تقدم الاسم بعد الهمزة فى هذا الموضع ، فلا يقال : أأنت قلت شعرا ؟ أأنت رأيت انسانا ؟ ونحو ذلك .

وسبب الفساد : أن مثل هذين التركيبين يكون المطلوب فيه تعيين فاعل الفعل : أما الفعل نفسه فهو مسلم ، غير مسئول عنه ، ففى الكلام معادل محذوف أى : أأنت قلت شعراً أم فلان ، أم فلان ، وهكذا ، وتعيين الفاعل هنا محال ، لأن المفعول المذكور ، وهو (شعرا ، وانسانا) عام ، لا يختص بفعله فاعل دون فاعل ، فطلب تعيينه طلب لما لا يمكن ، فيكون فاسدا ، وما جاء هذا الفساد الا من تقديم الاسم(١٠٩) .

٣ ــ الخطأ فى (التقديم والتأخير فى الخبر)

اذا قدمت الاسم ــ الذى هو مسند اليه ــ على الفعل ، وكان الاسم المقدم واقعا عقب نفى ، نحو : (ما أنا فعلت كذا) ، أفاد التركيب القصر قطعا ، أى : قصر نفى الفعل على الاسم المقدم ، لأنه يفيد أن الفعل ثابت ، متفق على حصوله ، وأنه منفى عن المسند اليه المقدم ، وأنه مثبت لغيره ، على حسب النفى ، عموما وخصوصا ، كقول (المتنبى) :

---

(١٠٩) دلائل الاعجاز ص ١١١ ــ ١١٣ ، ونهاية الايجاز ص ٣٠٠ ودراسات تفصيلية شاملة ص ٢٤٨ ــ ٢٥٠ .

وما أنا أســقمت جسمى به ولا أنا أضرمت فى القلب ناراً(١١٠)

(السقم) ثابت موجود ، ولكن الشاعر يريد أن ينفى عن نفسه أنه الجالب له ، ويثبت ذلك الهم الذى اعتراه .

واذا قدمت الفعل فقلت : (ما قلت هذا) ، و (ما ضربت زيدا) فانك تنفى عن نفسك فعلا لم يثبت أنه حصــل ، بل يجوز أن يكــون حصل من غيرك ، ويجوز أنه لم يحصل البتة ، فلا تعرض فى العبارة لاثباته لغيرك ، ويلزم ألا يفيد (القصر) .

وقد استدل (عبد القاهر) على هذا الفرق بين تقديم الاسم ، وتقديم الفعل فى الخبر بأدلة ، يتضح لك من خلالها فســاد التقديم والتأخير فى الخبر .

١ ــ الدليل الأول : أنه يصح حين تقدم الفعل أن يكــون النفى عــاما نحــو : (ما قلت شــعرا) ، و (ما أكلت اليــوم شــيئا) ، و (ما رأيت أحــدا) .

ولا يصح ذلك اذا قدمنا الفاعل ، فلا يصح أن تقول : (ما أنا أكلت اليوم شيئا) ، و (ما أنا قلت شعرا) ، و (ما أنا رأيت أحدا)

والســبب فى ذلك أن هذا الأسلوب (بتقديم الاسم) يقتضى أن الفعل ثابت متفق عليه ، وأنه منفى عن المســند اليه المقدم ، وأنــه مثبت لغيره ، على الوجه الذى نفى عليه ، من خصوص أو عموم .

---

(١١٠) الضمير فى (به) يعود الى الهم المذكور فى بيت سابق هو :

ولكن حمى الشــعر الا القليــ ــل هم حمى النوم الا غــرارا

فهذه الأمثلة الثلاثة تفيد أن قول شعر على العموم ، وأكل شيء على العموم ، ورؤية أحد على العموم : أمر ثابت ، متفق عليه بين المتكلم والمخاطب ، (والعموم نشأ من وقوع النكرة فى سياق النفى ، لأنها حينئذ تعم)(١١١) وأن المتكلم ينفيه عن نفسه ، وأنه يثبته لغيره عاما ، وهذا يقتضى المحال ، وهو أن يكون هنا انسان قد قال كل شعر فى الدنيا ، وأكل كل شيء يؤكل ، ورأى كل أحد من الناس ، وما اقتضى المحال محال .

أما اذا تقدم الفعل نحو : (ما قلت شعرا) ، فانه يكون صحيحا ، لأنه لا يقتضى الا نفى الفعل عن الفاعل ، أما ثبوت الفعل أو اثباته للغير ، فلا يقتضيه ، ولا يشعر به .

٢ ــ الدليل الثانى : أنه يصح أن تقول : (ما قلت هذا ، ولا قاله أحد من الناس) ، (ما ضربت زيدا ، ولا ضربه غيرى) ، وذلك لأنك تتكلم عن فعل لم يثبت وجوده ، فلك أن تنفيه عن غيرك .

هذا اذا قدمت الفعل ، أما اذا قدمت الاسم ، فلا يصح أن تقول : (ما أنا قلت هذا ، ولا قاله غيرى) ، ولا أن تقول : (ما أنا

---

(١١١) دلائل الاعجاز ص ١٢٤ ــ ١٢٦ ، ونهاية الايجاز ص ٣٠٥ ــ ٣٠٧ ودراسات تفصيلية شاملة ص ٢٦٨ ــ ٢٧٣ .

ويرى سعد الدين : أن العموم فى الأمثلة آت من صدق مدلول النكرة على كل فرد من الأفراد ، لا لأن مدلولها جميع الأفراد ، وحيث ان النفى كان مسلطا على الفرد ، فالاثبات يكون للفرد ، فيصدق هذا الكلام بأن غير المتكلم قال شعرا ، أو أكل شيئا ، أو رأى أحدا من الناس ، فتصح التراكيب الثلاثة ، من الناحية المنطقية ، أما الناحية الأسلوبية فرأى عبد القاهر هو المقدم . المطول ص ١٠٩ ــ ١١١ .

ضربت زيدا ، ولا ضربه أحد سواى) ، وذلك لأن هذا الأسلوب يقتضى أن الفعل ثابت متفق عليه ، وأنه منفى عن المقدم ، ومثبت لغيره ، وقولك : (ولا قاله أحد غيرى) يفيد أنه منفى عن الغير ، وهذا تناقض ظاهر .

٣ ــ الدليل الثالث : أنه يصح أن تقول : (ما ضربت الا زيدا) ، بتقديم الفعل ، لأنك تنفى عن نفسك ضرب غير زيد ، وتثبت لها ضرب زيد ، ولا يشعر كلامك بأن غيرك ضرب أو لم يضرب .

ولا يصح أن تقدم الاسم حينئذ ، فلا تقول : (ما أنا ضربت الا زيدا) وسبب الفساد : أن تقديم الاسم (كما سبق) يفيد أن الفعل ثابت ، وأنه منفى عن المتقدم ، ومثبت لغيره ، على حسب النفى عموما وخصوصا .

فهذا المثال يفيد أن (ضرب كل أحد الا زيدا) ثابت ، وأنه مثبت لغيره ، فيلزم أن يكون هناك انسان ضرب (كل أحد الا زيدا) ، وهو فاسد(١١٢) .

هذا ما يتعلق بالخطأ فى تقديم الاسم ــ الذى هو مسند اليه ــ

---

(١١٢) هذا تعليل سعد الدين فى المطول ص ١١٢ ، وهو التعليل الصحيح لفساد هذا التركيب ، وعلله عبد القاهر بقوله : وذلك لأن نقض النفى بـ (الا) يقتضى أن تكون ضربت زيدا ، وتقديمك ضميرك ، وايلاؤه حرف النفى ، يقتضى نفى أن تكون ضربته ، فهما متدامعان ــ دلائل الاعجاز ص ١٢٦ ، ونهاية الايجاز ص ٣٠٥ ى ــ ٣٠٦ وهو تعليل ضعيف ، اعترض عليه ، وقد نازع فيه الخطيب ، انظر : حسن التوسل ص ١٥٣ ، ص ١٥٢ والايضاح ضمن الشروح ١ : ٣٩٨ ــ ٣٩٩ ، ودراسات تفصيلية شافية ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤ .

على الفعل • وما سبق أن ذكرناه فيه قائم فى تقديم الاسم — وهو مفعول — على الفعل ، وذلك أن تقديم المفعول على الفعل يفيد (القصر) غالبا •

فقولك : — زيدا ضربت — يفيد ثلاثة أمور :

١ — ثبوت ضرب حاصل منك •

٢ — وقوعه على زيد المقدم •

٣ — نفيه عن غيره •

ومن هنا لا يصح أن تقول : (زيدا ضربت وغيره) ، لأن التقديم يفيد نفى الضرب عن غير زيد ، والعطف يفيد وقوع الضرب عليه ، وهو تناقض • هذا فى الاثبات ، فاذا قلت : (ما زيدا ضربت) ، أفاد أيضا ثلاثة أمور :

١ — ثبوت ضرب حاصل منك •

٢ — نفيه عن زيد •

٣ — ثبوته لغيره •

لأنك لا تقول ذلك الا اذا لم يكن هناك شك فى حصول الضرب ، ولكن المخاطب يزعم أنك ضربت زيدا ، فتنفى الضرب عن زيد ، وتثبته لغيره ، بتقديم المفعول ، وايقاعه بعد النفى •

ومن هنا لا يصح أن تقول : (ما زيدا ضربت ولا غيره) ، لأن تقديم الاسم ، وايقاعه بعد النفى يفيد اثبات الضرب ، واقعا على الغير ، والعطف يفيد عدم وقوعه على الغير ، فيناقض ما أفاده التقديم ، وكذلك لا يصح أن تقول : (ما زيدا ضربت ولكن أكرمته) ، لأن

تقديم المفعـــول يفيد أن الفعـــل مسلم ، لا كلام فيه ، وانما هو فى المفعول ، وقولك : (ولكن أكرمته) ، يفيد أن الكلام فى الفعل ، لا فى المفعول ، فالصواب حينئذ أن تقول : (ما زيدا ضربت ولكن عمرا) •

ولا يصـــح أيضا أن تقـــول : (زيدا ضربت ولم أكرمه) ، لأن تقديم المفعول يفيد أن الفعـــل مسلم لا كلام فيه ، وانما الكـــلام فى المفعول ، والعطف يفيد أن الكلام فى الفعل ، فهما متدافعان •

أمـــا اذا قدمت الفعـــل ، فقلت : (ضربت زيدا ، أو ما ضربت زيدا) ، فلا يفيد الكلام أكثر من اثبات ضرب زيد ، أو نفى ضربه ، ولا يعرض لغيره باثبات أو نفى ، ولا يدل على أن الفعل مسلم ، متفق عليه ، بين المتكلم والمخاطب •

فيصـــح أن تقول : (ضربت زيدا وغيره) ، و (ما ضربت زيدا ولا غيره) ، كما يصح أن تقول : (ما ضربت زيدا ولكن أكرمته) ، وأن تقول : (ضربت زيدا ولم أكرمه) •

ومثل المفعـــول ســـائر المتعلقات ، كالجار والمجرور ، والظرف ، والحال ، ولعل من الميســـور لك أن تعرف وجه فســـاد قولك : (بهذا أمرتك وبغيره) ، لأن تقديم الجار المجرور يفيد عدم تعلق الفعل بغير المقدم ، والعطف يفيد تعلقه به ، وهو تناقض •

كما لا يصح أيضا أن تقول : (ما بهذا أمرتك ولا بغيره) ، لأن تقديم الجار والمجرور ، وايلائه النفى يفيد نفى تعلق الفعل بالمقدم ، وثبوت تعلقه بغيره ، والعطف يفيد عدم تعلقه بالغير ، فهما متدافعان • فان قدم الفعل على الجار والمجرور فى الأسلوبين لم يفد الا ارتباطه

بالمتعلق ، دون أن يعرض لغيره باثبات أو نفى ، فيصح أن تقول : أمرتك بكذا ، وما أمرتك بكذا(١١٣) .

من عيوب استعمال الأدوات

الأدوات المستعملة فى الكلام كثيرة ومتنوعة ، فمنها أدوات الجر ، والشرط والاستفهام ، وغير ذلك .

واستعمال هذه الأدوات يخضع لضوابط محكمة ، او خرج الأديب عنها ، لكان كلامه معيبا .

١ ــ ثقل توالى حروف الجر .

من حروف الجر : من ، والى ، وعن ، وعلى ، وأشباهها .

وهذه الحروف منها ما يسهل النطق به اذا ورد مع أخواته ، ومنها ما لا يسهل ، بل يرد ثقيلا على اللسان ، ولكل موضع من السبك : فمما جاء منه قول (أبى تمام) :

الى خالد راحت بنا أرحبية ... مرافقها من عن كراكرها نكب

فقوله : (من عن كراكرها) من الكلام المتعاظل الذى يثقل النطق به ، وسبب ثقل (من عن) هنا أنهما وردتا داخلتين على كلمة مضافة الى ما بعدها ، فثقلت منهما ، وجعلتهما مكروهتين(١١٤) ، والا فقد وردتا فى شعر (قطرى بن الفجاءة) ، فكانتا خفيفتين ، كقوله :

---

(١١٣) دلائل الاعجاز ص ١٢٦ ــ ١٢٧ ، ونهاية الايجاز ص ٣٠٦ ــ ٣٠٧ ، ودراسات تفصيلية شاملة ص ٢٨٤ ــ ٢٨٧ .

(١١٤) لابن الأثير ها هنا عبارة غير محررة ، وقد أصلحتها بما أثبت ، ونص كلامه : والسبب فى ذلك أنهما وردتا فى بيت أبى تمام مضافتين الى لفظة (الكراكر) فثقلت منهما .. الخ ، ومعلوم أن من وعن حرفان ، والحروف لا تضاف الى ما بعدها ، ففى العبارة تسامح .

ولقد أرانى للرماح دريئـــة من عن يمينى مرة وشمالى

والأصل فى ذلك راجع الى الســـبك ، كما يقول (ابن الأثير) ومن القبيح فى ذلك قول (أبى تمام) أيضا :

كأنـــه لاجتماع الروح فيه له فى كل جارحة من جسمه روح

فقوله (فى) بعد قوله (فيه له) مما لا يحسن وروده(١١٥) •

٢ ــ الخطأ فى استعمال ــ ان واذا ــ

وفيما يتعلق باستعمال أدوات الشرط ، فقد ذكروا أن (ان واذا) تشتركان فى شىء ، وتفترقان فى شىء ، فتشتركان فى أنهما للشرط فى الاستقبال ، وتفترقان فى أن الأصل فى ــ ان ــ ألا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه ، كما تقـــول لصاحبك : (ان تكرمنى أكرمك) ، وأنت لا تقطع بأنه يكرمك •

والأصل فى (اذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه ، كما تقول : (اذا زالت الشمس آتيك) ••••(١١٦)

على هذا الأصل فى ــ ان واذا ــ ينبغى أن يجرى الاستعمال ، الا اذا كان الخروج عن ذلك لنكتة بلاغية •

فان لم يكن هناك نكتة ، وعدل بهما عن الأصل المذكور كان خطأ ، قال (الزمخشرى) : (وللجهـــل بموقع (ان ، واذا) يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب ، فيغلطون ، ألا ترى (عبد الرحمن بن حسان) كيف أخطأ بهما الموقع ، فى قوله يخاطب بعض الولاة ، وقد سأله حاجة فلم يقضها ، ثم شفع له فيها فقضاها :

---

(١١٥) المثل السائر ١ : ٤٣٥ ، ٤٣٦ •

(١١٦) الايضاح ٢ : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ •

خممت ولم تحمد وأدركت حاجتى ... تولى سواكم أجرها واصطناعها
أبى لك كسبت الحمد رأى مقصر ... ونفس أضاق الله بالخير باعها
اذا هى حثته على الخير مرة ... عصاها وان همت بشر أطاعها

(فلو عكس لأصاب) •

يريد « الزمخشرى » : أن سياق أبيات الشاعر هنا سياق ذم وهجاء ، لأنه طلب من الوالى حاجة فلم يقضها أولا ، فلما شفع له شافع عنده فى هذه الحاجة قضاها ، وعندئذ ذهب الشافع بالحمد ، وظل الوالى موضع الذم فى نظر الشاعر ، ومن هنا يكون نزوع الوالى الى الشر مؤكدا ، فى نظر الشاعر ، ونزوعه الى الخير موضع شكه ، فالمقام فى الأول لـ (اذا) ، وفى الثانى لـ (ان) ، ولكن عبد الرحمن بن حسان قد عكس ، فجاء بـ (اذا) فيما هو مشكوك فيه وبـ (ان) فيما هو مؤكد ، ولو عكس لأصاب كما قال الزمخشرى(١١٧) •

٣ ـ الخطأ فى استعمال (هل)

وفى (هل) قالوا : انها حرف استفهام ، يطلب به التصديق فحسب ، أى لمعرفة وقوع النسبة ، أو عدم وقوعها ، فتقول : هل قدم أخوك من سفره ؟ والجواب بـ (نعم ، أو لا) •

ولأجل اختصاصها بطلب التصديق امتنع أن يقال : (هل زيد قام أم عمرو) ؟ وقبح : (هل زيدا ضربت) ؟

أما وجه امتناع الأول ، حيث ذكر معها معادل بعد ـ أم ـ المتصلة ، فلأن ذلك يؤدى الى التناقض ، فمقتضى كون (هل) لطلب

---

(١١٧) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ والايضاح ٢ : ٤٢ ضمن الشروح •

التصديق : أن السائل جاهل بالحكم ، أى بوقوع النسبة أو عدم وقوعها • و (أم) المتصلة تفيد أن السائل عالم بهذا الحكم ، وانما يطلب تعيين أحد الموصوفين بالقيام (زيد ، أو عمرو) •

ولهذا قالوا : اذا جاءت (أم) بعد (هل) كانت منقطعة ، بمعنى (بل)(١١٨) كقول الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغيرت الرحى
رحى الحرب أم أضحت بفلج كما هيا

وقول قتيلة ترثى أباها ــ النضر ــ :

هل يسمعن النضر ان ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق(١١٩)

وأما قبح المثال الثانى (هل زيدا ضربت) ، فلأن تقديم المفعول ، وغيره من المتعلقات ، على الفعل يكون للاختصاص غالبا •

وهذا يعنى أن السائل هنا عالم بالحكم ، أى عالم بوقوع الضرب من المخاطب ، وانما يطلب تعيين المضروب فحسب ، وعليه يكون استخدام (هل) فى مثل هذا عبثا ، لأنه تحصيل لما هو حاصل •

وانما لم يمتنع مثل هذا الأسلوب ، بل وصف بالقبح فقط ، لجواز أن يكون (زيدا) مفعولا لفعل محذوف ، أو أن يكون تقديمه للاهتمام ، لا للتخصيص •

ومن الخطأ فى استعمال (هل) قول (أبى تمام) :

رضيت وهل أرضى اذا كان مسخطى من الأمر ما فيه رضى من له الأمر؟

---

(١١٨) المفتاح ص ١٣٣ ، شروح التلخيص ٢ : ٢٥٥ ــ ٢٥٦ •
(١١٩) بغية الايضاح ٢ : ٣٦ ، وعلوم البلاغة ص ٦٥ •

فـ (هل) فى البيت استعملت فى معنى (الانكار الذى بمعنى النفى) بمصطلح المتأخرين ، وسماه (الآمدى) التقرير لفعل ينفيه المتكلم عن نفسه ، وهو تسامح منه ، والمهم أن (هل) كما تأتى لهذا المعنى ، فهى تأتى أيضا للتقرير ، بمعنى حمل المخاطب على الاقرار ، وقد ذكر (الآمدى) المعنيين جميعا فى كلامه عن خطأ أبى تمام فى البيت ، وبين أن المعنى الأول هو مراد الشاعر ، فقوله : (وهل أرضى) كقول القائل : (وهل يمكننى المقام على هذه الحال ؟) أى : لا يمكننى ، وهل يصبر الحر على الذل ؟ وهل يروى زيد ؟ وهل يشبع عمرو ؟ فقوله : (هل أرضى) ؟ انما هو نفى للرضا ، فصار المعنى : ولست أرضى اذا كان الذى يسخطنى ما فيه رضا من له الأمر ، أى : رضا الله تعالى !! وهذا (من أبى تمام) خطأ فاحش .

وينفى الآمدى أن تكون (هل) فى البيت للتقرير بمعنى حمل المخاطب على الاقرار ، كما فى قولك : (سل عنى هل أصلح للخير) ؟ أو (هل أكتم السر) ؟ وقول :

هل أكرم مثوى الضيف ان جاء طارقا

وأبذل معروفى له دون منكرى ؟

فان صيغة بيت أبى تمام دالة على أنه قد نفى الرضا عن نفسه : بادخاله الواو على (هل) ، على حد قولك : (وهل أرضى اذا كانت أفعالك كذا) ؟ (وهل أصلح للخير عندك اذا كنت تعتقد غير ذلك) ؟ وقول (امرىء القيس) :

وان شفائى عبرة مهراقة وهل عند رسم دارس من معول ؟

وكذلك قول (أبى تمام) (رضيت) ثم قال : (وهل أرضى اذا كان مسخطى) ؟ انما معناه ولست أرضى ، فكان وجه الكلام أن يقول: رضيت وكيف لا أرضى اذا كان مسخطى ما فيه رضى الله تعالى ؟ وكذا أراد فاخطأ فى اللفظ ، وأحال المعنى عن جهته الى ضده(١٢٠) .

الدكتور/ عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر بأسيوط قسم البلاغة والنقد

---

(١٢٠) الموازنة ص ١٨٩ ـ ١٩١ بتصرف .

أهم المراجـــع

١ ـ الاتقان فى علوم القرآن ـ السيوطى ـ ط (الرابعة) مصـطفى البابى الحلبى ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ٠

٢ ـ أسرار البلاغة ـ عبد القاهر الجرجانى ـ دار المدنى بجدة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م تحقيق محمود شاكر ٠

٣ ـ أنوار الربيع ـ ابن معصوم المدنى ـ تحقيق (شاكر هادى شكر) مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٦٩م ٠

٤ ـ البرهان فى علوم القرآن ـ الزركشى ـ ط (الثانية) دار المعرفة بيروت ١٩٧٢م ـ تحقيق محمد أبو الفضل ٠

٥ ـ بغية الايضاح ـ عبد المتعال الصعيدى ـ مطبعة الآداب ٠

٦ ـ البلاغة القرآنية فى تفسـير الكشـاف ـ د٠ محمد أبو موسى ـ دار الفـكر ـ

٧ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ تحقيق هارون ط (الرابعة) ١٩٧٥م (الخانجى) القـاهرة ٠

٨ ـ التبيان فى شرح الديوان ـ العكبرى ـ ط (مصطفى الحلبى) ط الثانية ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م ٠

٩ ـ تحرير التحبير ـ ابن أبى الاصبع المصرى ـ ط لجنة احياء التراث الاسـلامى (القاهرة) ١٩٨٣م ٠

١٠ ـ حاشية الدسوقى على مختصر السعد ـ عيسى البابى الحلبى ـ

١١ ـ حسن التوسل الى صناعة الترسل (الحلبى) ط (دار الحرية) بغـداد ١٩٨٠م ٠

١٢ ـ خزانة الأدب وغاية الأرب (ابن حجة الحموى) ط (دار الهلال) بيروت ١٩٨٧م ٠

١٣ ـ الخصائص ـ ابن جنى ـ الطبعة الثانية (دار الهدى للطبـاعة والنشـــر) ٠

١٤ ـ خصائص التراكيب ـ د٠ محمد أبو موسى ـ ط (دار التضامن) ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ٠

١٥ ـ دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر ـ عبد الهادى العدل ط (دار الفكر الحديث) القاهرة ١٩٤٩م ٠

١٦ ـ دلائل الاعجاز ـ عبد القاهر الجرجانى ـ تحقيق محمود شاكر ـ ط (الخانجى) القاهرة ١٩٨٤م ٠

١٧ ـ رؤية جديدة للايجاز والاطناب ـ د٠ عبد الغنى بركة ط (الأولى) دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٣م ٠

١٨ ـ شرح عقود الجمان ـ السيوطى ـ مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م ٠

١٩ ـ شرح مقامات الحريرى الشريشى ـ تحقيق (محمد أبو الفضل ابراهيم) مطبعة المدنى بالقاهرة ٠

٢٠ ـ شروح التلخيص ـ الخطيب وشراحه ـ ط : عيسى البابى الحلبى٠

٢١ ـ الصناعتين ـ أبو هلال العسكرى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ١٩٨١م ـ تحقيق : د٠ مفيد قميحة ٠

٢٢ ـ عروس الأفراح ـ السبكى ـ ضمن الشروح ـ عيسى البابى الحلبى

٢٣ ـ علوم البلاغة ـ أحمد مصطفى المراغى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

٢٤ ـ الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ـ ابن قيم الجوزية ـ مكتبة المتنبى ـ القاهرة ٠

٢٥ ـ القاموس المحيط ـ الفيروزابادى ـ المطبعة المصرية ـ الطبعة الثانية ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٣م ٠

٢٦ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار الجيل ـ بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

٢٧ ـ المثل السائر ـ ضياء الدين ابن الأثير ـ ط (الثانية) دار الرفاعى ـ الرياض سنة ١٩٨٣م ـ تحقيق : د٠ أحمد الحوفى ، د٠ بدوى طبانة ٠

٢٨ ـ المحتسب ـ ابن جنى ـ لجنة احياء التراث الاسلامى (القاهرة) ١٣٨٦هـ تحقيق : على النجدى ناصف ، ود٠ عبد الحليم النجار ، ود٠ عبد الفتاح شلبى ٠

٢٩ ـ مختصر السعد ـ سعد الدين التفتازانى ـ عيسى البابى الحلبى ٠

٣٠ ـ مسائل البلاغة فى كتاب الخصائص ـ عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر ـ ماجستير ـ مخطوط بمكتبة كلية اللغة العربية ـ القاهرة

٣١ ـ المطول على التلخيص ـ سعد الدين التفتازانى ـ مطبعة أحمد كامل ـ ١٣٣٠هـ ٠

٣٢ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ـ عبد الرحيم العباسى ـ عالم الكتب ـ بيروت ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ٠

٣٣ ـ مفتاح العلوم ـ السكاكى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

٣٤ ـ من بدائع النظم القرآنى ـ د٠ السيد عبد الفتاح حجاب ـ مطبعة الجندى ـ بنها الجديدة ٠

٣٥ ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـ حازم القرطاجنى ـ دار الغرب الاسلامى ـ بيروت ١٩٨١م تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ـ الطبعة الثانية ـ

٣٦ ـ الموازنة ـ أبو القاسم الآمدى ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ٠

٣٧ ـ الموشح ـ المرزبانى ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٨٥هـ ـ الطبعة الثانية ٠

٣٨ ـ نظرات فى علم المعانى ـ عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر ـ مطبعة الأمانة ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م ٠

٣٩ ـ النكت فى اعجاز القرآن ـ الرمانى ـ ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ بمصر ـ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م ـ تحقيق : محمد خلف الله ـ دكتور محمد زغلول سلام ٠

٤٠ ـ نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ ط (الأولى) ١٩٧٩م تحقيق : د٠ محمد عبد المنعم خفاجى ٠

٤١ ـ نهاية الأرب ـ النويرى ـ طبعة دار الكتب ٠

٤٢ ـ نهاية الإيجاز ـ الفخر الرازى ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٨٥م ـ الطبعة الأولى ـ تحقيق د٠ بكرى شيخ أمين ٠

٤٣ ـ الوساطة ـ على بن عبد العزيز الجرجانى ، ط (عيسى البابى الحلبى) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، على محمد البجاوى ٠